الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

محمد الخضر حسين نشاطه وآثاره

(1958-1873)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطلبة:

- إيمان بودهري
- يمينة نغلي

إشراف الأستاذ:

*عبد الرحمن تونسي

السنة الجامعية:

2017-2016

كلمة شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ و إن أعمل صالحا ترضاه و أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين " النمل -19-

صدق الله العظيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي ما لم تكن لتهتدي لولا هديه، الحمد لله على توفيقه و حفظه، الحمد لله ، الحمد لله الحمد لله حمدا كثيرا ، اللهم لك الحمد حتى ترضى و لك الحمد إذا رضيت، و لك الحمد بعد الرضا، نتقدم باسمي عبارات الاحترام و الشكر إلى كل من ساعدنا لإتمام عملنا.

نشكر الأستاذ الفاضل "تونسي عبد الرحمن" الذي أطرنا خلال اشرافه على مذكرتنا جزاه الله ألف خيرا

نشكر كل من قال لنا " الله معاكم" نشكر كل من ابتسم في وجوهنا كل من على لمؤمن بخير ، وكل من في قلبه حب لأخواته وكل أخ وأخت في الله لكل هؤلاء نوجه شكرنا

إهـــــداء

الى من بلغ الرسالة و ادى الامانة و نصح الامة....الى نبي الرحمة و نور العالمين "سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم".

الى من كلله الله بالهيبة و الوقار...الى من علمني العطاء بدون انتظار ....الى من احمل اسمه بكل افتخار"والدي العزيز".

الى ملاكي في الحياة ...الى معنى الحب و الى معنى الحنان و التفاني...الى بسمة الحياة و سر الوجود...الى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي الى اغلى الحبايب "امي الحبيبة ".

الى من اشرقت شمسك في سماء حياتي...و كنت نورا قد غطى على احزاني و بدلها افراح...الى من ارى التفاءل بعينه و السعادة في ضحكته...الى من تطلعت لنجاحي بنظرات الامل .حفظك الله لي و متعك بالصحة و العافية...و دمت لي "زوجي الغالي".

الى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي و شبابي..."اخوتي و اخواتي ".

و الى اهل زوجي و كل صديقاتي ..خاصة صديقتي في العمل يمينة نغلي..

"ايمان"

إهـــــداء

الى رمز الامان و منبع الحب و الحنان.الى بلسم الجراح و صاحبة دعوات القلب المرتاح .الى اعز من خلق الله في هذا الوجود"امي الغالية"

الى من كان لي في الحياة قدوة.الى من قادني الى دروب النجاح و خطاه خطوة خطوة.الى من علمني ان الدنيا بالعلم و المثابرة تكون حلوة"ابي الحنون"

الى من شاركني الحياة .الى من غمرني بتشجيعه و دعمه في كل الاوقات.الى من امسك بيدي ووعدني بانه لن يفلتها حتى الممات"زوجي العزيز"

الى اللذين يفرح القلب للقياهم .و تشرق العين حين تراهم اخوتي .صبيحة و عبد الله.

الى كل صديقاتي .امال.خيرة.حورية.

الى رفيقتي في هذا العمل بودهري ايمان

و الى اهل زوجي الكرام.

"يمينة"

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

ط:الطبعة

ج:الجزء

ص :الصفحة

تر:ترجمة

تق:تقديم

تح:تحقيق

مج: مجلد

مـــقـــــدمة

المقدمة:

تعتبر العلاقات الفكرية والسياسية بين الجزائر وتونس نموذجا فريدا، خصوصا في الفترة الاستعمارية، فعلى مدى نصف قرن من الزمن شكلت الهجرات الجزائرية في موجات جماعية منظمة أو فردية، متخذة عدة مقاصد إما لطلب العلم والتفقه أو البحث عن مستقر آمن هروبا من الواقع المفروض عليها، وكان من تلك الأسر أو الشخصيات المهاجرة من الجزائر على درجة من الرقي والمنزلة، وامتد حضورهم في البلد المضيف إلى المشاركة في مختلف الميادين ومنها الوطني والسياسي، كبعث الأحزاب وإنشاء الصحف، فكان لها دور فاعل في إفراز قيادات وزعامات تولت تسيير الحركة الفكرية والوطنية في كل من البلدين ومن هنا كان موضوع دراستنا حول شخصية:

"**محمد الخضر حسين نشاطه وأثاره** "

(1873م،1958م)

والإطار التاريخي لهذا البحث يمتد من تاريخ ميلاده سنة ثلاثة وسبعون وثمانمائة وألف ميلادي إلى غاية وفاته سنة ثمانية وخمسون وتسعمائة وألف ميلادي، وهي فترة مليئة بالعديد من التحديات، والمعيقات في سبيل تحرير الأمة العربية والإسلامية من الاستعمار الغربي فالشيخ محمد الخضر حسين الجزائري الأصل، التونسي المولد، الذي يجهله الكثير من أبناء وطنه، يعد وجها بارزا من وجوه النهضة العربية الحديثة في مطلع القرن العشرين، فكان شخصية ذات فضائل متعددة فهو أديب، فقيه، معلم، واعظ، ومرشد أي صالح ومصلح .

دوافع الدراسة وأهدافها:

– إن اختيارنا لدراسة شخصية محمد الخضر حسين ومدى مساهمته في النهضة العربية الإسلامية، ناتج ولاريب عن رغبة منا للمساهمة قدر الإمكان بإلقاء الضوء على أولئك

الرجال العظماء في التاريخ، الذين لم تثنيهم العقبات عن أداء رسالتهم العلمية والجهادية، ولم تقف الصعاب في وجوههم دون الهدف الذي يرمون إليه.

– محاولة منا التعريف بهؤلاء الأدباء والمفكرين السياسيين المنتمين إلى أصول جزائرية ممن أجبروا على الهجرة والإقامة بعيدا عن وطنهم الأم، سواء إقامة دائمة أو عابرة، ثم أملى عليهم الضمير المشاركة في الحياة الفكرية والسياسية، فتولد عن ذلك النشاط تراثا زاخرا بالإنتاج والعلاقات، فمن واجبنا إنصافهم.

– ميول ذاتية ورغبة شخصية ربما تعود إلى فترة الطفولة في البحث في ميدان سيّر الأعلام والشخصيات.

– المساهمة في إثراء المكتبة الجامعية، وهذا لقلة الدراسات المتخصصة حول هذا النوع من المواضيع.

– كان موضوع البحث محل اهتمام وتشجيع من طرف الأستاذ المشرف" عبد الرحمان تونسي " الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته في تضليل بعض الصعوبات.

– التعرف على أهم الأساليب التي اعتمدها محمد لخضر حسين من أجل الدفاع عن الوطنية والهوية الحضارية للشعب التونسي بصفة خاصة، وأبناء المغرب العربي بصفة عامة.

– التعرف على مسيرة نضال هذه الشخصية، وأهم مراحل حياته.

الإشكالية:

حتى لاننسى هؤلاء الذين عاشوا بعيدين عن وطنهم، ومجهولين ومغيبين من بنى جلدتهم، وحتى ننفض الغبار عنهم وطي النسيان لهم، ارتأينا أن ندرس شخصية منهم، محمد الخضر

حسين، فمن هو هذا الأخير؟ ما نشاطه وإنتاجه الفكري والعلمي؟ وما تأثيره على البلاد التونسية خاصة، والعربية الإسلامية عامة؟

التساؤلات الفرعية:

وللإجابة على هذه الإشكالية أدرجنا عدة تساؤلات فرعية جاءت كالتالي:

- من محمد الخضر الحسين؟ وما هي الظروف التي نشأ فيها؟
- بما اتسم عصر محمد الخضر؟
- ما هي العراقيل التي واجهت مسيرته التحررية؟
- فيما يتمثل إنتاجه الفكري والثقافي؟
- ما هو خطه السياسي؟ ونضاله ضد الاستعمار في تونس؟
- ما هي مساهمته في إثراء الحياة العامة للعالم العربي والإسلامي؟

خطة الدراسة:

ولدراسة هذه الإشكالية، والأسئلة الفرعية اعتمدنا على الخطة التالية:

مقدمة وثلاثة فصول وانهينا بخاتمة، فالفصل تمهيدي عالجنا فيه الأوضاع العامة لتونس في عهد محمد الخضر حسين، تحت أربعة مباحث: تطرقنا فيها إلى الوضع السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي

أما الفصل الثاني تناولنا فيه التعريف بشخصية الشيخ محمد حسين ، وقسمناه إلى ثلاث مباحث: فالمبحث الأول تطرقنا إلى حياته من مولده ونشأته والمبحث الثاني تناولنا فيه عمله السياسي والنضالي من خلال رحلاته، أما المبحث الثالث فعرفنا بنشاطه العلمي والتحريري بمصر.

أما فيما يخص الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى محمد الخضر حسين وآثاره الفكرية والعلمية وقسمناه إلى ثلاث مباحث تطرقنا فيها إلى محاضراته ومقالاته ومؤلفاته

منهج الدراسة:

اتبعنا في مختلف فصول هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي لدراسة الظاهرة التاريخية متبعين التسلسل الزمني للأحداث ومعتمدين أيضا على المنهج الوصفي لوصف تلك الاحداث حسب كل مرحلة من اجل الوصول إلى نتائج.

المصادر والمراجع:

ولدراسته هذا الموضوع اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع، منها ما ارتبطت بإنتاج محمد الخضر حسين ومن عاصرته ومنها:

كتاب الدعوة إلى الإصلاح لصاحبه محمد الخضر حسين الذي سعى من خلاله إلى الدعوة لإصلاح المجتمع التونسي بصفة خاصة والعالم الغربي بصفة عامة، وكتاب جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية لصاحبه علي رضا الحسيني وقد عرض من خلاله لمحات عن الجهاد الإمام محمد الخضر حسين، ودوره الكبير في الحركة الاستقلالية التونسية والمغاربة والإسلامية، وكتاب تونس الشهيدة لعبد العزيز الثعالبي الذي هدف من خلاله إلى تبيان الأوضاع العامة التي كان يعيشها التونسيون خلال فترة الحماية الفرنسية.

كما عدنا على بعض المراجع ودراسات العلمية أكاديمية المتخصصة مثل: محمد مواعدة في كتابه محمد الخضر حسين حياته وآثاره، والتي يتعرض فيه إلى أهم مراحل حياة صاحب الدراسة وآثاره العلمية والفكرية، بالإضافة إلى كتاب تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال لمحمد الهادي الشريف، الذي ناقش فيه الأحداث الكبرى للتربية الاجتماعية والسياسية السائدة في كل فترة من فترات تاريخ البلاد التونسية، ومحمد عبد المنعم في كتابه الأزهر في ألف عام، وقد تناول فيه شيوخ الأزهر بالتفصيل والصور بداية

من الشيخ الثامن حتى الشيخ التاسع والثلاثين، كما اعتمدنا على بعض المجلات مثل: مجلة العمل لابو القاسم محمد كرو الذي كتب في مقال بعنوان محمد الخضر حسين.

الصعوبات والعراقيل:

لا يخلوا أي بحث أو دراسة من الصعوبات ونحن كمبتدئين في هذا الميدان واجهتنا العديد من الصعوبات منها:

- انعدام المادة العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة في المكتبة الجامعية بخميس مليانة
- اختلاف آراء بعض المؤلفين حول شخصية محمد الخضر حسين والقضايا المتعلقة به مما اوجد صعوبة هيكلة الموضوع المقترح للدراسة، وكيفية التحكم فيه، حتى تكون معلوماته متكاملة ومتناسقة فيما بينها، إلى جانب ضيق الوقت الممنوح لنا.
- كثرة المادة العلمية المتعلقة بهذه الشخصية مما صعب علينا توظيفها.

الفصل التمهيدي

تونس في عهد محمد الخضر حسين (1873-1958)

- **المبحث الأول:** سياسيا
- **المبحث الثاني:** اقتصاديا
- **المبحث الثالث:** اجتماعيا
- **المبحث الرابع:** ثقافيا

تمهيد:

لقد ضعفت الدولة العثمانية إثر انهزام أسطولها في معركة نفارين سنة 1827 في بلاد اليونان و التي كانت تطالب باستقلال عنها كما شهدت اضطرابات داخلية وخارجية بالرغم من وقوف تونس ومصر إلى الدولة العثمانية في تلك المعركة هذا ما جعلها تضمحل تاركة الإيالات التابعة لها تواجه مصيرها بنفسها ومن بين هذه الإيالات تونس[1].

كان احتلال فرنسا لتونس عام 1881 نتيجة منطقية بعد احتلال الجزائر , وبعد أن حصلت فرنسا على الكثير من الامتيازات مثل امتياز احتكار مد الخطوط التلغرافية وإصلاح القناطر وغير ذلك من الامتيازات المتعلقة بحماية الرعايا الفرنسيين[2]، وبعد فرض الحماية على تونس وتوقيع معاهدة الباردو في12 ماي 1881[3]، تدهورت الأوضاع العامة لتونس في مختلف المجالات سياسيا ، اقتصاديا ، اجتماعيا وثقافيا[4].

المبحث الأول: سياسيا

يحكم البلاد التونسية باي ينتمي إلى عائلة افريقية الأصل تسلمت السلطة سنة 1705، وكان الحكم يتداول بين الذكور وبحسب كبير السن ضمن السلالة حسين بن

[1]– رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1996، ص 141.

[2]– نفسه، ص 141.

[3]–معاهدة البار دو: الموقعة يوم 12 ماي 1881 بين حكومة فرنسا وباي تونس محمد الصادق باي والمؤسسة لنظام الحماية، تعلن هذه المعاهدة حماية فرنسا على البلاد التونسية وهي تشكل بداية الاستعمار الفرنسي لتونس، أعطت هذه المعاهدة لفرنسا حق الإشراف المالي والخارجي والعسكري في تونس وحق تعيين مفوض فرنسي في مدينة تونس، وكل القرارات لا تكون نافذة إلا بقبول المقيم العام الفرنسي. انظر:علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، سراس للنشر، تونس، 1986، ص 152-154.

[4]–عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، ط1، تر: سامي الجندي، دار القدس، 1975، ص 05.

علي مؤسس الدولة[1]، كان الباي مستقلا فهو يجمع السلطتين التشريعية والتنفيذية، ورغم ما يتمتع به الباي من نفوذ مطلق فإن السلطة الفعلية كانت قبل الحماية بين يدي الوزير الأكبر الذي يباشر تسيير شؤون المالية والخارجية للإيالة يساعده في الإدارة العامة للبلاد وزير الداخلية يسمى وزير القلم ومستشارون يرأسون مختلف الأقسام، إلى جانب وزير الحرب ووزير البحرية الذين يرمزون إلى التقاليد العسكرية للدولة الحسينية[2].

كان باي تونس محمد الصادق[3] المولود في 22 مارس 1814 والبالغ آنذاك 67 من العمر، هو الأمير 12 في الدولة الحسينية وقد خلف أخاه محمد قبل انتصاب الحماية باثنتين وعشرين سنة.

لقد فتح الباي محمد باشا[4] الباب أمام تكالب الاستعمار الفرنسي والإنجليزي بمنح الامتيازات للشركات الأجنبية ورؤوس الأموال الأجنبية، وقد حاول خير الدين التونسي[5] والحركة الإصلاحية الوقوف في وجه المطامع الأجنبية واتجه إلى سد الباب في وجه هذه

---

[1]–علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر بن ضو حليمة قرقوري وعلي المحجوبي، سراس للنشر، تونس 1986، ص 08.

[2]– الدولة الحسينية:(1705–1728) اثر انهزام إبراهيم سنة 1705 أضحت البلاد مهددة بغزو وشيك من طرف عساكر فادي، الجزائر فانتشرت الفوضى بين أصحاب العقد حسين بن علي بابا على تونس، أنظر: محمد الهادي شريف، تاريخ تونس، ص81.

[3]–محمد الصادق باي:(185–1881) ولد في 1814 ورث الحكم عن أخيه وهو الباي 12 من الأسرة الحسينية، دام حكمه 22 سنة، كان ميال للترف دون حدود حتى وقع أسيرا لوزرائه فأصبح قليل الاكتراث بشؤون البلاد، انظر: الشيباني بن بلغيث، الجيش التونسي في عهد الصادق باي 1854–1818 تح: عبد الجليل التميمي، منشورات التميمي للبحث العلمي، جامعة سفاقس، 1995، ص 65.

[4]-محمد باشا: 1855–1859 خلف ابن عمه احمد باي ،تميز باستفحال الاحتلال والضعف، اصدر قانون عهد الأمان الذي يتضمن 11 مادة حيث يضمن للرعية حقوقهم ويعطي امتيازات للأجانب، انظر: محمد الفاضل بن عاشور الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، دار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص 19.

[5]–خير الدين التونسي:(1820–1890) لقب بابو النهضة التونسية الحديثة، بدا حياته مملوكا في احد بيوت الأشراف في الأستانة حيث ضحك له القدر فانتقل إلى كنف احمد باي واشتغل في مناصب عدة منها، الأعمال الهامة في الإدارة والتعليم وتنظيم الوزارات، انظر: سمير أبو حمدان، موسوعة خير الدين التونسي، دار الكتاب العلمي، 1993 ص 05.

المطامع، مما أكسبه حب الشعب وتقديره وخاصة الطبقات الشعبية إذ أصبح ينظر لخير الدين التونسي والحركة الإصلاحية من طرف الباي الجديد محمد باشا غير نظرة المرغوب فيهم نتيجة لدسائس قناصل الاستعماريين الذين بدأو الحرب ضد الحركة الإصلاحية وبدأ الصراع بين الحركة الإصلاحية والباي الصادق، وانتهت المعركة بانتصار جزئي مؤقت للحركة الإصلاحية في عام 1857، حيث اعترف فيه الباي بمنح الدستور للبلاد وسمي هذا الدستور بعنوان "عهد الأمان"[1] فكان ذلك انتصارا باهرا للحركة الإصلاحية بعد نضال دام عشرين سنة من أجل الإصلاح[2].

توفي الباي محمد باشا 1860 وتولى بعده أخوه محمد الصادق باي فدخل رأس تحت النظام الدستوري خاضعا للحركة الإصلاحية وبدأت الانجازات الهامة تتحقق على صعيد العمل الاجتماعي فتم مد خط البرق بين تونس وأوربا عن طريق الجزائر وتأسيس المطبعة الرسمية وجريدة "الرائد التونسي" وتكوين المجلس التشريعي والمجالس البلدية 1861 فأصبح خير الدين التونسي الزعيم المصلح الذي يقود هذا الطور من حياة تونس[3].

سقطت البلاد التونسية سنة 1881 التي كانت تابعة للخلافة العثمانية منذ ما يقارب ثلاثة3 قرون ، تحت سيطرة فرنسا التي امتدت إمبراطوريتها من قبل ذلك التاريخ إلى الجزائر المجاورة واضطر بايات تونس الذين كانوا يتمتعون باستقلالية واسعة النطاق إلى تسليم الإدارة الفعلية للبلاد إلى ممثلي الجمهورية الفرنسية بتونس وذلك بمقتضى

[1]–عهد الأمان: هو وثيقة أساسية أعلنها يوم 09 سبتمبر 1857 محمد باي، وهي أول نص يمنح السكان التونسيين حقوقهم الأساسية في الأمن على أرواحهم وأملاكهم وأعراضهم، يتكون نص عهد الأمان من مقدمة وإحدى عشرة مادة أو قاعدة. انظر:علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 19.

[2]– علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 21.

[3]– علي المحجوبي، ص 22.

معاهدة الباردو واتفاقية المرسى[1] حيث تبنت شكلا استعماريا جديدا يعرف بنظام الحماية[2] فقد استفادت فرنسا كثيرا من التجربة التي خاضتها في الجزائر ولم تكن مستعدة للوقوع في نفس الأخطاء التي ارتكبتها في مستعمراتها القديمة ، وكان على "بول كامبون" الذي كلف في بداية 1882 بتنظيم شؤون البلاد التونسية أن يستعمل كامل نفوذه وأن يكون شديد الحزم كي يتغلب على دعاة الالحاق وقد توصل كامبون بفضل الدعم الذي لقيه من جول فيري إلى فرض نظام الحماية رغم العراقيل وهذا النظام هو الذي يمكن فرنسا من ممارسة سياستها كقوة عظمى دون أن يعرض أمنها للخطر[3].

وقد عاشت سفاقس خلال جوان 1881 جو من الاضطرابات قام بها عامة السكان بالاشتراك من جمع من قبيلة مثاليف حيث كانت الشائعات الرائجة آنذاك حول تدخل الدولة العثمانية لطرد فرنسا من البلاد التونسية وهذا ما بعث الفزع في الجاليات الأوربية ، غير أنها لم تستطع الصمود طويلا أمام الأسطول الفرنسي، فسقطت مدينة سفاقس في 16 جويلية 1881 بعد قصف دام عدة أيام وتواصل طوال شهر جويلية وذلك رغم ما أبداه رجال المقاومة من بسالة وشجاعة أدت إلى هلاك عدد كبير منهم[4].

اشتدت مقاومة قوات الاحتلال بجهة زغوان بين 11 و 14 سبتمبر 1881 أما السلطات الفرنسية فقد حرصت على غزو القيروان، المدينة الثانية الكبرى بالإيالة ومركزها الروحي، قصد تهدئة الرأي العام بفرنسا ومجلس نوابها فشرعت قوات الاحتلال في السيطرة على الطرق المؤدية إلى القيروان، ولم تقدر قوات المقاومة التي قادها الحاج

---

[1]– اتفاقية المرسى: تم التوقيع على هذه الاتفاقية بين باي تونس علي باي بن الحسين علي باشا باي والمقيم الفرنسي بول كامبون، وذلك بتاريخ 08 جوان 1883 أي بعد حوالي سنتين من فرض الحماية الفرنسية في تونس، وقد عمقت هذه الاتفاقية الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية بعد ان استتب الامن وتراجع حركة المقاومة ،علي المحجوبي ،المرجع السابق،ص160.

[2]–احمد قصاب، تاريخ تونس المعاصر 1881–1956، ط1، تع: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، ص09.

[3]– علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 06.

[4]– نفسه، ص 49.

حسين بن مسعى إلى التصدي للغزاة في الطريق بين زغوان و القيروان فأصبحت المواجهة في جهة الساحل وتمكن الغزاة من دخول القيروان يوم 26 أكتوبر 1881 وباحتلالها ختمت سلسلة المعارك الكبرى في المقاومة[1].

لم تكن معاهدة الحماية سوى قرار للحكومة الفرنسية، فرض على الباي محمد الصادق ومع ذلك فهي لم تجرد الباي من كل السلطات وكأن فرنسا أرادت بذلك الإكتفاء بضمان نفوذها في البلاد التونسية على حساب بقية القوى الأوربية، غير أنها حرمت الباي من تسيير شؤون البلاد الخارجية حتى أنه أصبح لا يستطيع عقد أية معاهدة مع بلد أجنبي دون موافقة حكومة الجمهورية الفرنسية[2].

تواصلت المقاومة المسلحة التونسية للتدخل العسكري الفرنسي إلى فيفري 1882 فتعددت المعارك واستبسل المقاومون ، وقد قرر العامة الهجرة إلى طرابلس وكان ميزان القوى العسكري غير متكافئ لصالح المعتدي[3].

إن تدهور الأوضاع السياسية أدى إلى ضعف الإيالة التونسية كما أجهز المحتل كذلك أول احتماله على موطن القوة في الأمة آنذاك وهو اقتصاد البلاد.

المبحث الثاني: اقتصاديا

لقد تميزت سياسة بايات تونس قبل الحماية بمنح الامتيازات للدول الأجنبية وأدى هذا التدخل الأجنبي إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في تونس ووقوعها تحت نظام الحماية كشكل مقنع من أشكال الاستعمار والذي صاحبه استحواذ وسيطرة على مصادر الثروات.

---

[1]–خليفة شاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ص 26.

[2]–علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 60.

[3]– خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 26.

وكان هؤلاء البايات يحكمون البلاد حكما مستقلا عن الدولة العثمانية، ولكنهم كانوا يعدون أنفسهم تابعين لها من الناحية الدينية، وقد تعاقبت البايات على حكم البلاد فتحققت على يد بعضهم الكثير من الإصلاحات العمرانية والإدارية، ومر على تونس 3 بايات هم: محمد الصادق باي و محمد باي و احمد باي[1] ، طبق هذا الأخير العديد من الإصلاحات بتونس فانشأ مدرسة حربية واستقدم بعض الضباط الفرنسيين للتدريس فيها، وأنشأ مصنعا للذخيرة ودار لصناعة السفن، وبنى أسطولا قويا اشترك مع الدولة العثمانية في حرب القرم[2] ، زار الباي أحمد فرنسا وأعجب بمظاهر الحضارة بها، فأخذ بتقليد فرنسا في بناء القصور، ووقعت البلاد في أزمة مالية بسبب الإصلاحات وسلب الأموال من قبل بعض المسؤولين[3]. ويعطي صورة حية كما آلت إليه الأوضاع الاقتصادية في تونس في ذلك الوقت، وما آل إليه حال الأوضاع والتجار والزراع وغيرهم من طوائف الشعب الذين أثقل كاهلهم بالضرائب، فقد ضعف الإنتاج الزراعي وأصبحت الصناعات التقليدية تعاني من المزاحمة الأوربية، تدهورت التجارة الخارجية، وأصبح الفلاحون مرغمين على بيع مواشيهم حتى دفع الأداء وارتفعت أثمان الحبوب والمحاصيل الغذائية حتى أصبح من المألوف أن يساق المئات من المدنيين المفلسين كل يوم[4].

---

[1]–احمد باي: هو ابن الباي مصطفى باشا ولد سنة 1784م واستمرت ولايته 17 عام من 1839–1856 كانت تربيته وميوله عسكرية، وقد نشا في طور الإصلاحات العسكرية النظامية التي أخذتها الدولة التونسية تبعا لتنظيمات السلطة محمود الثاني، وقد طالب من احمد باي أن يطبق الإصلاحات في تونس. انظر:محمد الفاضل بن عاشور ،مرجع سابق، ص 11.

[2]–حرب القرم: هي حرب قامت بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية في أكتوبر 1853، واستمرت حتى 1856 ودخلت مصر وتونس وبريطانيا وفرنسا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية في 1854 التي كان قد أصابها الضعف وانتهت حرب القرم في مارس 1856 بتوقيع اتفاقية باريس وهزيمة الروس. انظر: احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، 1986، ص 23.

[3]–شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ليبيا تونس الجزائر المغرب الأقصى، ط2، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2007، ص292.

[4]– نفسه، ص293.

توفي الباي أحمد سنة 1855 عن عمر يناهز 71 عاما فخلفه ابن عمه وولي عهده محمد باشا باي وصادف ولايته الانهيار في أحوال الدولة التونسية وتفاقم مشاكلها وأزماتها[1]، بعدها صدر عام 1857 ما عرف باسم قانون عهد الأمان، وهو قانون مبني على إحدى عشر قاعدة أساسية يسوي بين سائر سكان البلاد على اختلاف مذاهبهم في الحقوق و الواجبات[2]، أما في عهد صادق باي فقد ازدادت الأمور سوءا فقد تدفق على تونس عدد كبير من الأجانب لممارسة نشاطهم في ضل ما كفله القانون الجديد لهم من حقوق، ومع ذلك رفض هؤلاء دفع الضرائب أسوة بالمواطنين العاديين، وفي الوقت الذي مارست فيه فرنسا وانجلترا ضغوط عنيفة على تونس وأخذت تتدخل في الشؤون الداخلية لها أسهم الرعايا الأجانب في تدهور اقتصاد تونس بعد أن استفادوا من ثروتها واستنزفوا أموالها. ففي هذه الفترة ضعف الإنتاج الزراعي ووصل الأمر إلى أن نهبت الحكومة مدخول الأوقاف وتضاعف الدين العمومي، حيث نجح مصطفى خزندار أن يجر الباي إلى عقد قرض جديد بفائدة 8%وكررت بعد ذلك العديد من صفقات القروض، وكان مصطفى خزندار[3] يختلس لنفسه مبالغ يضمنها لثروته[4].

[1]– الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة، ط 1، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس ص 20.

[2]– شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 289–290.

[3]–مصطفى خزنة دار: يوناني الأصل والولادة ولد سنة 1817 وبيع صغيرا في أسواق اسطنبول، ثم بيع مرة ثانية إلى بايات تونس، تربى في قصور الأسرة الحسينية الحاكمة، تعلم الإسلام وعلوم الدين صحبة احمد باي الذي نشا معه في قصر أبيه. انظر: الشيباني بن بلغيث، مرجع سابق، ص 68.

[4]–شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 289–290.

سقطت تونس في حالة من الخراب والدمار والفوضى امتدت ستة سنوات وقد كانت ذريعة ملائمة للتدخل الأجنبي في البلاد التونسية حيث وضعت سنة 1869 أموال الدولة تحت الرقابة الأجنبية وتولى الأشراف عليها لجنة دولية[1].

وكانت هذه اللجنة تصنف جهازين أساسين اللجنة التنفيذية ولجنة مراقبة :

اللجنة التنفيذية: تتألف من 3 أعضاء وكان يرأسها الأكبر بمساعدة عضو تونسي كانت اللجنة تمثل الجهاز المركزي الإدارة مكلفة بجباية الضرائب المخصصة لتسديد الديون التونسية، كما تعتبر في الوقت ذاته وزارة المالية لحكومة الباي وهذا ما يخول لها إعداد ميزانية البلاد الوقت ذاته وزارة المالية لحكومة الباي وهذا ما يخول لها إعداد ميزانية البلاد[2].

لجنة المراقبة: وهي تتركب من ستة أعضاء منتخبين يمثلون مقرضي الحكومة التونسية اثنان من فرنسا واثنان من انجلترا واثنان من ايطاليا، وهذه اللجنة الحق في مراقبة كل العمليات التي تقوم بها اللجنة التنفيذية و التثبت فيها والمصادقة عليها إن اقتضى الأمر[3].

وقد قدرت اللجنة المالية الدولية وحددت الخصائص فقدرت ديون البلاد التونسية ب 125.000.000 فرنك ووقع تقسيم مداخيل الايالة إلى قسمين: خصص القسم الأول منها لنفقات الدولة والثاني لتسديد الديون، وقد تطلب عمل اللجنة بهذا الوضع التدخل في كل فروع الإدارة بالبلاد وكان طبيعيا أن ينظر الوطنيون إلى هذا التدخل الأجنبي في

[1]– فاطمة الزهراء بوبكر ورزيقة بوجمعة، عبد العزيز الثعالبي ودوره السياسي والثقافي 1874–1944، مذكرة ماستر تخصص ظاهرة استعمارية،جامعة خميس مليانة، السنة الجامعية 2013–2014، ص.

[2]–علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 09.

[3]– نفسه، ص 10.

شؤون بلادهم نظرة السخط و التذمر فقد كانت اللجنة رمزا لسيطرة الغرب وأداة لإستغلاله وإذلاله للشعب التونسي[1].

لقد تسببت اللجنة بعراقيل– للحماية – ولذلك يرى العديد من الأشخاص أن الشرط الأساسي لتنظيم حقيقي للحماية يكمن في إلغاء اللجنة المالية[2]، إضافة إلى ذلك نذكر الكوارث الطبيعية والاضطرابات النقدية والفوضى السياسية التي أخذت تحل بالبلاد شيئا فشيئا[3].

وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس مكنت الإدارة الفرنسية تحت تصرفهم ما يزيد عن 600 ألف هكتار ومعنى هذا أنه كان للمعمرين وغالبيتهم الساحقة من الفرنسيين نحو 30% من الأراضي الصالحة للاستغلال في القطر التونسي، وبالإضافة إلى تملك الأراضي الجديدة جعلت موارد الاقتصاد التونسي بيد الفرنسيين الصناعات الرئيسية وتجارة الصادر والوارد ووسائل المواصلات[4]، كما استولت على أملاك الدولة من الأرض البور، ثم استولت على الغابات والأراضي المملوكة للأفراد الذين لا يستطيعون إثبات ملكيتهم لها، ثم أراضي القبائل والأوقاف وسلمت هذه المساحات الشاسعة للشركات الفرنسية والمهاجرين الفرنسيين. كما جعل لصادرات تونس لا تتجه إلا لفرنسا[5]، وإذا كان الاستيطان الفرنسي قد سيطر على الثروة الزراعية فقد سيطر أيضا على الثروة المعدنية

[1]– علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 10–12.

[2]–نفسه، ص 14.

[3]– محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من العصور من قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعر: محمد الشاوشي ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1980، ص 98.

[4]– السرجاني راغب، قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011، ط 1، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2011، ص 25.

[5]– محمود شاكر وإسماعيل احمد ياغي، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر(قارة إفريقيا)، ج2، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1993، ص 103.

واحتكرها وخاصة الفوسفات والحديد واعتبرت مناجمها ضمن الأراضي الأميرية التي تسيطر عليها الإدارة الاستعمارية[1].

إن تدهور الأوضاع الاقتصادية بسبب المصادرة والاستغلال وسلب الأراضي والسيطرة على قطاع الصناعة والتجارة أدى إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية.

المبحث الثالث: اجتماعيا

إن التسهيلات التي منحها بآيات تونس الأوربيين، أثرت على الحياة الاجتماعية بها بسبب توافد عدد كبير من الجاليات الأوربية إليها، وقد أصبح هناك فرق كبير بين حياة البأس التي يحياها الفرد التونسي، ونعمة الحياة الأوربية التي حرم منها التونسيين أنفسهم، ما عدا بعض كبار الأثرياء والحكام[2].

لقد صارت تونس "اثنتين" متباينتين: تونس التونسيين الوطنيين أهل البلاد وتونس المستعمرين الأوربيين الذين استأثروا بكل خيرات البلاد.[3] فاضطربت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وانتشرت الأمراض والمجاعات وكانت عوامل السخط على الأوضاع التي آلت إليها البلاد قد تجمعت فقد كان الناس يعانون من تعسف رجال الحكومة، ومن بطئ سير العدالة هذا في الوقت الذي كانت مظاهر الثراء الفاحش لبعض العناصر.[4]

[1]– خلف التميمي عبد المالك، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي، لفلسطين، الخليج العربي) دراسة تاريخية لمقارنة، المجلس لثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1963، ص37.

[2]–الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 14.

[3]– نفسه، ص 15.

[4]– شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 293.

شهدت البلاد التونسية كغيرها من البلدان الغير أوربية انفجار ديمغرافيا حقيقيا[1] واحتضنت فرنسا كل أفراد الجاليات الأوربية، و منحتهم الجنسية الفرنسية ليكبر عدد رعياها، واتجهت إلى هؤلاء بالرعايا على حساب شعب تونس [2] .

فجعلت الوظائف الكبرى في أيديهم، واتجهت الميزانية إلى مرتبات الموظفين مهملة كل المنشآت العمرانية، والثقافية والصحية، حتى أنه خصص أكثر الميزانية التونسية للموظفين، فقد بلغ عدد الموظفين في عام 1951 (31.696) موظف منهم 22 ألف موظف من الفرنسيين والمجنسين بالجنسية الفرنسية، ويتقاضى الموظفون 82% من مجموع إعتمادات ميزانية ذالك العام، وكانت فرنسا تحت التونسيين على التجنس حتى يحصلوا على مرتبات عالية تساوي مرتبات الفرنسيين، إلا أن الصحافة وفتوى المفتي العام قضت على هذه النداءات[3].

لقد كان العمال التونسيون معظمهم من أصل ريفي وذلك أمر طبيعي لأن أغلبية السكان كانوا يعيشون على الفلاحة إضافة إلى البدو والرحل، وهذه البنية الاجتماعية وأصولها تقودنا إلى معرفة الفكر الذي كان سائدا في هذا الوسط الشعبي[4].

لقد ساد في المجتمع مظاهر الفساد والانحلال وتدهورت الأوضاع الصحية فأغلب المواطنين لا يجدون مستشفيات العلاج ما يصيبهم من أمراض خطيرة، وحتى في ميدان تعليمي فقد انتشر الجهل وانطلق من نواة المجتمع وهي المرأة ,ومع تفاقم المشاكل

[1] محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 105.

[2]– محمود شاكر وإسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 103.

[3]– نفسه، ص 104.

[4]– عبد المالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص 40.

الاجتماعية ازداد عدد السكان وانتشرت البطالة وسيطر على الناس عقلية ساذجة تعتقد في بركة الأولياء الصالحين وشعوذة الدجالين[1].

أما اليهود في تونس فقد تعاونوا مع المستوطنين الأوربيين كما تعاون يهود الجزائر معهم وقبلوا التجنس بالجنسية الفرنسية للحفاظ على امتيازاتهم وكان دورهم مساعدا للمستوطنين ولعبوا دورا سلبيا تجاه الحركة الوطنية في المغرب العربي[2].وبذلك فإن السياسة الفرنسية أنتجت تقسيما اجتماعيا عبر عنه "عبد العزيز الثعالبي"[3] في كتابه تونس الشهيدة بالجنس الأعلى والجنس الأسفل فالجنس الأعلى يمثل الطبقة المسيطرة والمدللة أما الجنس الأسفل فيمثل الطبقة المغلوبة والضعيفة والمستغلة والمحرومة من جميع حقوق الكائن البشري المعترف بها، وهي الشعب المغلوب أب العرق الأردني، وقد ولد هذا الوضع في الطبقة الأولى الغرور والقسوة والوقاحة واحتقار كل ما هو وطني، وعند الثانية حركة مقاومة تتميز برفض كل ما يجيء من الأولى التي تعمل بأعصاب باردة على انحلال مجتمعها وتفكيك ميراثها الخلقي[4].

لقد ولد الوجود الفرنسي والأوربي في تونس الطبقية والتميز العنصري فقد أصبحت الأولوية في مختلف القطاعات لهم على حساب التونسيين وخاصة في المجال الثقافي.

---

[1]– بوبكر وبوجمعة، مرجع سابق، ص 27.

[2]– عبد المالك خلف التميمي، مرجع سابق، ص 42.

[3]–عبد العزيز الثعالبي: ولد بتونس الخضراء في سبتمبر 1876 ونشا في كنف جده عبد الرحمان الثعالبي من أقطاب الجزائر، كان حافظا للقران الكريم، يعتبر علم من أعلام الوطنية والإصلاح وداعية من ابرز الدعاة إلى العروبة والإسلام بظهور أول حزب لتحرير تونس ومقاومة الاستعمار الفرنسي فيها عام 1895، كان الثعالبي أول من انضم إليه ليؤسس بعدها الحزب الوطني الإسلامي الذي كان يدعو من خلاله إلى تحرير العالم العربي كله. انظر: عبد العزيز الثعالبي، من آثاره وأخباره في المشرق العربي والمغرب، صالح ألخرفي، ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1995، ص 17.

[4]– عبد العزيز الثعالبي، مصدر سابق، ص 269.

المبحث الرابع: ثقافيا

لقد كانت عملية الاغتصاب الاقتصادي تستند إلى مجهود يرمي إلى تحقيق الاستلاب الثقافي وإضعاف الشخصية التونسية لأن الإستخراب يعلم قيمة اللغة والتاريخ ومدى ارتباطهما بالفكر والذاكرة الحضارية لأي أمة.

اتجه خير الدين للنهوض بجامعة الزيتونة وأصدر في مايو 1875 قانون تأسيس المكتبة الصادقية[1] ليشجع الثقافة العامة، وزودها بالكتب وجمع بها الكثير من الكتب المبعثرة في المدارس والجوامع[2] كما قام مجموعة من الشباب الوطني ورجال الإصلاح بتأسيس جمعية الحاضرة، وذكر علال الفاسي[3] من الجزائريين في تونس مجموعة تولت مناصب قيادية في الحركة الوطنية التونسية من جهة وكذلك في الحركة الإسلامية منهم محمد السنوسي[4] محرر الرائد التونسي الذي اعتبره الناس زعيم أول للحركة الوطنية بعد الحماية وكان هذا الأخير من علماء الزيتونة[5].

تميزت فترة الباي أحمد باشا بالتفتح على التيارات الثقافية في أوربا فقد تتابعت رحلات رجال الدولة إلى فرنسا وغيرها من الدول الأوربية فشاهدوا ما كانت عليه هذه البلاد من

---

[1]–المدرسة الصادقية: تأسست سنة 1875 على يد خير الدين التونسي، وتعتبر أول مدرسة ثانوية عصرية في البلاد التونسية، وقد تخرج من الصادقية جل القيادات والشخصيات السياسية التونسية الهامة كالرئيس حبيب بورقيبة والوزير احمد بن صالح. انظر: علي المحجوبي ،المرجع السابق ،ص 162.

[2]– شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 299.

[3]–علال الفاسي: هو علال بن عبد الواحد بن عبد السلام ولد بمدينة فاس بالمغرب سنة 1910، ونشأ نشأة عصامية جمع بين العلم الديني والحماس الوطني فهو زعيم وطني منذ كان طالبا، ومن كبار الخطباء والشعراء والعلماء بالمغرب، وكان له دور في محاربة الاستعمار الفرنسي بكل الوسائل وأهمها نشر التعليم وتنظيم قطاعات الأمة للعمل الجماعي وخوض المعارك السياسية والتصدي لكل مخططات الاستعمار. انظر: عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ج1، دار البشير ، ص 923.

[4]–محمد السنوسي:1850–1900 أديب وشاعر، درس بالزيتونة وتولى منصب قيادة في الحركة الوطنية التونسية من جهة وكذلك في الحركة الإسلامية السلفية، محرر الرائد التونسي والذي اعتبره الناس زعيم الحركة الوطنية بعد الحماية. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص492.

[5]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 293.

نهضة، وقد سافر أحمد باشا بنفسه إلى فرنسا، ويعطينا الوزير أحمد بن أبي الضياف[1] صورة حية عن الانطباعات التي تركتها هذه الزيارة وما شاهده في باريس، وكان لهذه الزيارة أثرها في توطيد العلاقات التونسية الفرنسية، ومن المآثر الثقافية المرتبطة بهذه الفترة تأسيس المكتبة الأحمدية، كذلك حاول أحمد باشا النهوض بجامع الزيتونة[2] وعمر خزانته بالعديد من الكتب[3].

أما المدرسة الخلدونية[4] التي تأسست بقرار وزاري سنة 1896 م كان هدفها النهوض بالعلوم العربية مثل: الرياضيات والطب والعلوم وغيرها، فأقبل الشبان من طلبة جامعة الزيتونة إقبالا عظيما نظرا لشهرتها فقد كانت تضم الطلبة من الجزائر المغرب الأقصى أيضا ونتيجة لدورها فقد تخوف منها المعمرون تخوفا كبيرا[5].

لقد كانت لكل مجموعة عرقية ولغوية في أول عهد الحماية مدارسها ونظمها التعليمية حيث كان للمسلمين تعليمهم المنظم بالكتاتيب و المدارس القرآنية وتعليمهم العصري المنظم بالمدارس الفرنسية العربية[6]. أما التعليم الفرنسي ، فإن المؤسسات التي

---

[1]–احمد بن أبي الضياف: ولد سنة 1804 وهو ينحدر من عائلة تنتمي الى فرع من قبيلة (الوادعون العتيدة) رقاه الصادق باي سنة 1861 إلى رتبة أمير أمراء وعينه في خطة وزير، من أهم مؤلفاته كتابه الشهير (إتحاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس و عهد الأمان) انظر: الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون، تق: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص73.

[2]–جامع الزيتونة: لقد كانت القيروان هي العاصمة الحضارية الأولى في المغرب العربي ومنذ القرن 5ه انتقل مركز الإشعاع الفكري إلى جامع الزيتونة الذي أصبح منذ ذلك التاريخ مقصد طلاب العلم والمعرفة، ومن أشهر العلماء الذين تخرجوا منه ابن خلدون، الإمام بن عرفة. انظر: عبد الله الطاهر، المرجع سابق، ص 219.

[3]– شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 288.

[4]–المدرسة الخلدونية: في سنة 1896 دعي زعيم الحركة الإصلاحية الثاني بشير صفر إلى تكوين جمعية سميت بالمدرسة الخلدونية، وكان الهدف من تكوينها هو إدخال الإصلاح على جامع الزيتونة ومساعدة طلبة هذا الجامع على تحسين مستواهم التعليمي، ولعبت دورا وطنيا عظيما في نشر العلم والثقافة. انظر:عبد الله الطاهر، المرجع سابق، ص 33.

[5]– فاطمة الزهراء بوبكر، مرجع سابق، ص 29.

[6]– أحمد قصاب، مرجع سابق، ص 291.

تتولى نشره كانت موجودة قبل الاحتلال ففي سنة 1883 كانت توجد علاوة على المعهد الصادقي 20 مدرسة تشرف عليها جمعيات رهبانية و3 معاهد تابعة للرابطة الإسرائيلية، ومنذ أول عهد الحماية قامت السلطة الفرنسية بتنظيم التعليم العصري المقام على نشر اللغة الفرنسية فأحدثت سنة 1883 إدارة التعليم العمومي التي يطلق عليها التونسيين اسم إدارة العلوم والمعارف ، وقد تم تنظيمها بالأمر العلمي المؤرخ في 26 أفريل 1883.[1]

ولم يكن الإصلاح الذي تصدى له خير الدين عشوائيا، لكنه كان قائما على الفهم و الدراسة وتحديد الهدف المنشود، ورسم السياسة للوصول إلى هذا الهدف ولعل كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"الذي وصفه في عام 1867 والذي طبع بعد ذلك في الإسكندرية يعطي فكرة عن مبادئة التي كان يؤمن بها ويعتنقها والتي حاول أن يطبقها مدة رئاسة القصيرة للوزارة[2]، وفي عام 1883 أحدثت حكومة الحماية إدارة التعليم العمومي واستولت على جميع المؤسسات التربوية والثقافية وجعلت اللغة الفرنسية الأداة الأولى للتعليم، وبذلك اتجهت فرنسا إلى محاربة اللغة العربية والفكر الإسلامي، كما اتجهت لنشر اللغة الفرنسية وتشجيع التنصير، وقطعت الإعلانات عن المدارس الإسلامية، فضعفت، وانقضت أكثرها ولم يبق إلا جامعة الزيتونة تصارع الأحداث وتناضل للبقاء[3].

وهكذا عبرت تونس مدة طويلة من الزمن وهي تتلظى بنار الاستعمار الفرنسي وتكتوي بلهيبه، حتى صب أهلها يناضلون للحرية والاستقلال، ذلك النضال الذي أتى ثماره وحقق لشعب تونس ما هو جدير به من حرية واستقلال.

---

[1]– أحمد قصاب، ص 292.

[2]– شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 297.

[3]– محمود شاكر وإسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 104.

الفصل الثاني

التعريف بشخصية الإمام محمد الخضر حسين

المبحث الأول: حياته

أ- اسمه

ب- نسبه

ت- مولده ونشأته

المبحث الثاني: عمله السياسي و النضالي من خلال رحلاته

أ- الرحلة الجزائرية

ب- الرحلة إلى المشرق العربي

ت- الرحلة من دمشق الى مصر

المبحث الثالث: موجز نشاطه العلمي و التحريري بمصر

أ- قبل اعتلاء الأزهر

ب- توليه مشيخة الأزهر

ت- وفاته

تمهيد:

يعتبر إمامنا الشيخ محمد الخضر حسين معجزة حقيقية في العلم فقد قدر الله له أن يكون قامة سامقة وهمة عالية في خط الدفاع الأول عن الفكر الإسلامي الأصيل في ميادينه المختلفة ، فقد كان هذا العالم العظيم نموذجا لمن يطلق عليهم القول القائل:الكل في واحد: "فهو عالم و فقيه وأستاذ وقاض، وهو صحفي وكاتب وشاعر وأديب وهو لغوي وباحث ومجمعي ومحقق وسياسي وثائر وزعيم كان عالما بالدين والأصول وعالما بالدنيا و المجتمع وكان متبحرا في اللغة وفي الأدب وفي التاريخ فقد نبع هذا العالم وبرع في كل الميادين وقد كان صائب الاستنتاج مسموع الكلمة على نحو ما كان قوي الحجة واضح الفكرة، فقد كان يطلق عليه الشيخ محمد الخضر حسين العالم الفذ الذي هو من الرعيل الأول فقد كان المحقق والبليغ الملحق في كل مقال له آية وكل بحث يغوص فيه له راية وأية راية؟ فقد كان الحق بقلمه بينا وزهق الباطل من قلمه زهقا فقد كان هذا البطل مثلا عز مثيله في الكفاح والجهاد عن الحق[1] .

المبحث الأول: حياته.

كان إمامنا الخضر حسين مستنيرا متفتح الذهن ،يدعو إلى الإصلاح على أساس قاعدة علمية ،فهو يعتمد الرأي حيث يثبته الدليل ، و يتقبل الحكم متى لاحت بجانبه حكمة،و من راية إن على العلماء قول كلمة الحق لأهل الحل والعقد دائما.

[1]محمد الجوادي ، محمد الخضر حسين ووفقه السياسة في الإسلام ، ط 1 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر القاهرة ، 2014، ص 9 8.

أ- اسمه:

هو محمد الخضر بكسر الخاء وسكون الضاد بن الحسين بن علي بن عمر الحسيني التونسي[1]، حيث انه قد اشتهر اسمه بـ: محمد الأخضر حسين وهو المعروف في الأوساط العلمية والثقافية، واسمه الأصلي هو محمد الأخضر بن الحسين *حيث أبدلت كلمة الأخضر ب الخضر منذ طفولته وأظن بسبب ذلك رغبة في اختصار الاسم وفي نفس الوقت تيمنا بأحد أولياء المسلمين الذي كان يسمى بهذا الاسم الخضر وقد رفعه القران إلى درجة الأنبياء كما كان يحظى عند الصوفيين بمكانة ممتازة و كثيرا ما كانوا يدعون الاتصال به، كما أنه بعد سفره إلى المشرق العربي حذف "بن" من اسمه على عادة المشارقة، وتحولت الأخضر إلى الخضر على عادة أهل المشرق العربي أيضا[2].

وفي مصر عرف الشيخ في البداية بأنه الشيخ الخضر التونسي، أو محمد الخضر التونسي، فلما صار مخالطا للمصريين متجانسا وموظفا، أصبح اسمه هو هذا الاسم الذي بقي به، وهو محمد الخضر حسين[3].

ب-نسبه:

هو الشيخ محمد الخضر بن الحسين بن علي بن أحمد بن عمر بن الموقف، ابن محمد بن علي بن عثمان بن يوسف بن عمران بن يوسف بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن علي بن أبي القاسم بن علي بن أحمد ، ابن حسن بن سعد بن يحي ، بن محمد بن يونس، بن لقمان بن علي بن مهدي ابن صفوان بن يسار بن موسى بن عيسى بن

---

[1]- الجيلالي بن ديمة، محمد الخضر حسين لأي القرآن وملامح الإصلاح فيه، رسالة ماجستير في تخصص تفسير بين القديم والحديث، جامعة تلمسان، سنة الجامعية 2013-2014، ص 15.

-*انظر الملحق رقم 01:صورة الشيخ محمد الخضر.

[2]- محمد مواعدة ، محمد الخضر حسين حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر، 1974م، ص 21.

[3]- محمد الجوادي، مرجع سابق، ص 17.

إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول اللص صلى الله عليه وسلم[1].

أما أبوه فهو الحسين بن علي من مريدي الشيخ مصطفى بن عزوز صاحب الطريقة الرحمانية[2]، وهو من الجزائر وقد تميز بتصوفه الشديد وعدم معرفته لغير العبادة، وكان شيخا للطريقة الخلواتية[3]، وله جامع باسمه في بلدة نفطه[4]،أما أمه فهي السيدة الصالحة حليمة السعدية بنت التقي الصالح الشيخ مصطفى عزوز المدفون في مدينة "نفطه"[5] وشقيقه العلامة الأجل الشيخ محمد المكي بن عزوز دفين مدينة "اسطنبول"، تلك الأم الفاضلة التي لقنت ابنها الإمام علوم القرآن والفقه واللغة والأدب وأشرفت على تربيته الإسلامية. وقد كانت تدعو له بأعلى الدرجات، وتحقق ما تمنت بعدما قرب الإمام من ثمان وسعين سنة في شهر محرم من سنة 1372هـ، أصبح ذلك الولد إمام في الجامع الأزهر[6].

---

[1]– علي رضا الحسني، كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، دار النوادر ، دمشق، 1431هـ– 2010م، ص 14.

[2]– الطريقة الرحمانية: انتشرت بشكل واسع في منطقة زواوة والزيبان وشرق الجزائر وجمعت بين فئات الناس المختلفة ووحدت بينها عبر مراحل تاريخية طويلة، وبثت فيها قيم التضامن والتسامح، وحب الخير وقد اتسمت بالمرونة في مبادئها وتعاليمها وجمعت بين علمي الظاهر والباطن الأمر الذي مكنها من الموازنة بين الحياة المادية والحياة الروحية. أنظر: عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د ت) ، ص 97.

[3]– الطريقة الخلواتية: تستمد تسميتها من مؤسسها الفعلي عمر الخلواتي 1578 أحد الصالحين، محمد البالسي الخلواتي، وقطب الدين أحمد الأبهري، وترتبط كذلك بالشاذلية. أنظر: سعيد مراد، التصوف الإسلامي رياضة روحية، الدراسات للنشر، الجزائر، 2007، ص 9.

[4]– علي رضا الحسني، أحاديث في رحاب الأزهر، دار النوادر، دمشق، 1431هـ – 2010م، ص 195.

[5]– نفطه: بفتح النون وسكون الفاء وهاء ساكنة، هي المدينة الثانية في منطقة الجريد، تقع في أقصى الجنوب الغربي لتونس. انظر: احمد البحتري، الجديد في أدب الجريد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1973م، ص12–13.

[6]– علي رضا الحسيني، كتابات حول الإمام... ، مرجع سابق ،ص 05.

وأما جده للأم فهو الشيخ مصطفى بن عزوز[1]، وخاله هو الشيخ العلامة محمد المكي بن عزوز[2]، وكان للشيخ محمد الخضر حسين أربعة إخوة، وعلى رأسهم العلامة اللغوي المعروف محمد المكي بن الحسين، وهو أديب معروف في تونس، الذي عاد من دمشق إلى تونس، ودفن فيها، ويليه العلامة اللغوي الشيخ زين العابدين، وقد اشتغل هذا الأخير بالتدريس في دمشق، وأحيل إلى المعاش وله ابن اسمه كاظم يشتغل بالتدريس هناك، وكذلك العروسي والجنيدي، أما عن الأخوات فهن كالآتي: زبيدة وميمونة وفاطمة الزهراء، ودفن كلهن في دمشق[3].

وللعلم إن فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين فهو جزائري الأصل فإن أصل أسرته من قرية تسمى طولقة من أعمال البرج من صحراء بسكرة، وقد انتقلت أسرته إلى نفطه لأسباب ودوافع عديدة أهمها؛ تعاظم الضغط الفرنسي في الجزائر خصوصا مع بدايات الاحتلال الفرنسي للزيبان ودخول دار الإسلام تحت هيمنة دار الكفر إذ يعتبر الفرنسيون المستعمرون التراب الجزائري، ترابا فرنسيا هذا إضافة إلى وقع الانتصار الذي حققه الجيش الفرنسي على المجاهدين الجزائريين كان دافعا قويا لهم على الهجرة[4].

[1]– مصطفى بن عزوز: أشهر أبناء الشيخ محمد بن عزوز، لكونه من أعلام شيوخ طريقة العزوزية الرحمانية، ولد عام 1806م، وكان صغيرا لما توفي والده عام 1818م، فكفله خليفة والده الشيخ علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة وأسس زاوية نفطة عام 1844م. أنظر: هشام ذياب، محمد المكي بن عزوز، حياته، مواقفه، وآثاه (1845–1916) رسالة ماجستير،تخصص التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر،جامعة المسيلة، 2014م، ص 24–25.

[2]– محمد المكي بن عزوز: ولد سنة 1170م تقريبا 1233 اشتهر باسم محمد بن عزوز البرجي نسبه إلى البرج في منطقة بسكرة في الجنوب الجزائري المدينة التي ولد فيها ودفن فيها والده هو الصالح أحمد بن يوسف، وترك أبناء كلهم من العلماء، توفي سنة 1232 ودفن بقرية البرج. أنظر: علي الرضا الحسني، محمد بن عزوز حياته وآثاره، الدار الحسينية للكتاب، 1422هـ/2001، ص ص 10–12.

[3]– محمد ابراهيم الحمد، محمد الخضر حسين سيرته ومؤلفاته، ط1، دار ابن حزيمة، الرياض، 2014، ص 33–34.

[4]– الجيلالي بن ديمة ، المرجع السابق، ص 03.

كما كان أيضا توافد القيادات الصوفية على الجريد التونسي قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر على غرار الطريقة القادرية[1] والرحمانية وكان الجنوب التونسي قلعة لتنظيم حركة سياسية ضد النظام الاستعماري بالجزائر، وكانت طريق سوف الجريد قابس خارجة عن نطاق النفوذ الاستعماري والوافدون على تونس يجدون حماية من الباي، ويعفيهم من الضرائب هو ما جعل البلاد التونسية ملاذا آمنا للوافدين الجزائريين وأتباع الطرق الصوفية[2].

د- مولده ونشأته:

مولده:

اختلفت الآراء وتنوعت حول مولد الإمام الخضر حسين فهناك من يقول أنه ولد في بلدة نفطه يوم 26 رجب سنة 1293هـ/21 جويلية 1873م[3]، وهناك من يقول أنه ولد بقرية من قرى الجزائر على حدود القطر التونسي[4]، والبعض الآخر يرجع مولده لليلة الإسراء والمعراج في 26 من رجب 1293هـ/16 أغسطس 1876م[5]، إلا أن المرجح حسب بعض الكتابات التاريخية حول هذه الشخصية هو التاريخ الأول لأنه مذكور في أغلب المراجع التي كتبت عن الشيخ محمد الخضر حسين، وخاصة منها ما كتبت عنه في حياته، وقد عثر السيد خليل ثابت رئيس لجنة

[1]- القادرية: تنتسب إلى العالم المتصوف عبد القادر الجيلاني المتوفي في بغداد عام 1166 وهناك توحد الزاوية الأم وتعتمد تعاليمها على العلم والأخلاق والصبر، وذكر الله والخوف منه. أنظر: عمار هلال، الطرق الصوفية، نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر، 1988، ص 109.

[2]- هشام ذياب،محمد المكي بن عزوز،حياته مواقفه و آثاره، المرجع السابق، ص27.

[3]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 21.

[4]- محمد رجب البيومي مهران، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ج1، ط1، دار القلم، دمشق ودار الشامية، بيروت، 1995، ص 52.

[5]- محمد الجوادي، مرجع سابق، ص 17.

المؤلفات التيمورية[1] بمصر بين آثار العلامة أحمد تيمور[2] على ترجمة لحياة الشيخ محمد الخضر حسين وكان نص بدايتها أنه ولد بمدينة نفطه بالقطر التونسي في 27 رجب 1293هـ، عوض يوم 26 رجب المذكور في بقية المراجع، وإذا أشرنا إلى الصداقة المتينة التي تربط الشيخ محمد الخضر بالعلامة أحمد تيمور باشا ودفنه في مقبرة التيمورية بوصية منه، تأكد لنا أهمية هذه الوثيقة، ومدى قيمتها التاريخية[3].

نشأته:

نشأ في كنف عائلة مفعمة بالعلم و الثقافة و الأدب وفي بلدة لها حظها الوافر من الجوامع، والمساجد فقد تجاوزت الأربعين وكانت أغلبها مواطن علم يتلى فيها كتاب الله وتلقى فيها دروس الفقه والحديث واللغة والأدب، وقد كانت بلدة نفطه منطقة واحات يعيش أهلها حياة فلاحيه لكن صاحب الجاه[4] والحظوة والتقدير لم يكن الفلاح الذي يملك أراضي شاسعة بل إن رجل العلم هو الذي تحتل هذه المكانة فقد كان النموذج الاجتماعي البارز في ذلك العهد، صاحب الكلمة المسموعة والرأي الراجح وقد أشار الشيخ محمد الخضر إلى الإطار العلمي الأدبي الذي كان موجودا بنفطه منذ طفولته فقال في مقدمة ديوانه الشعري "خواطر الحياة" :"نشأت في بلدة من التونسي يقال لها نفطه وكان للأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة نفحات تهب في مجالس علمائها وكان حولي من أقاربي وغيرهم

[1]– التيمورية: (التيموريون): عائلة من الأمراء الأتراك المنحدرين من تيمورلنك الذين سادوا في آسيا الواسطة (سمرقند) حتى عام 1506. أنظر: روبير منتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج1، دار الفكر للدراسات، القاهرة 1993، ص 423.

[2]– أحمد تيمور باشا: أحمد ابن إسماعيل بن محمد تيمور باشا، من العلماء المؤرخين والباحثين والمحققين كان عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، تجمعه مع الإلمام صداقة متينة، تتحلى في وصية الإمام أن يدفن إلى جانب صديقه، وتم ذلك بالفعل، ولد بالقاهرة وبها توفي في 1288–1348هـ/ 1871–1930م. أنظر: علي الرضا الحسيني من أوراق ومذكرات الإمام محمد الخضر حسين، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 51.

[3]– محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 22.

[4]– نفسه، ص 26–27.

من يقول الشعر فقد تذوقت وقت طعم الأدب من أول نشأتي"[1]، حيث أن هذا العالم الفذ ترعرع في زاوية والده القائمة في تلك البلدة وابتدأ تعلم القرآن الكريم وهو ابن خمسة أعوام وخمسة أشهر وخمسة أيام على أحسن الحفاظ الذين تفقهوا بين يدي الأستاذ الشيخ سيدي المدني ابن عزوز[2]، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره[3]، رحل مع أبيه وأسرته إلى القاعدة التونسية[4].

وقد كان الإمام الخضر غيورا على الدين مخلصا للوطن، عدوا للاستعمار أنشأ مجلة "السعادة العظمى"[5] في عام 1321-1903 لنشر مجالس الإسلام، وفضح أساليب الاستعمار، وهي أول مجلة ظهرت في المغرب العربي الكبير، لكن سلطات الاستعمار الفرنسي أغلقتها سنة 1323هـ-1905م[6]، وفي نفس سنة 1323هـ تقلد الإمام منصب القضاء بمدينة "بنزرت" كما عهد له بالخطابة والتدريس بجامعها الكبير، واستمر قائما بهذه الوظائف سنة وبضعة أشهر[7].

[1]- محمد الخضر حسين، ديوان خواطر الحياة، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010م، ص 6.

[2]- محمد المدني المبروك: ابن أحمد بن إبراهيم بن عزوز البرجي، ولد في برج بن عزوز في جنوب الجزائر (1870م)، رحل إلى أقطار الشرق وطاف أكثر بلدانه، ثم استقر في نفطه حتى وفاته. أنظر: علي رضا الحسيني أعلام زاوية مصطفى بن عزوز، دار النوادر، دمشق، ص 11.

[3]- عبد الله العقيل: المرجع السابق، ص 847.

[4]- أحمد تيمور باشا: أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ط 1، دار الأفاق العربية، 2002، ص 380.

[5]- السعادة العظمى: مجلة علمية أدبية إسلامية، وهي أول مجلة صدرت بتونس في 16 محرم 1322هـ و استمرت حتى العدد الواحد والعشرين الصادر في غزة ذي القعدة 1322هـ. أنظر: علي رضا الحسيني، أحاديث في رحاب الأزهر، مرجع سابق، ص 187.

[6]- عبد الله العقيل،المرجع سابق، ص 847.

[7]- علي رضا الحسيني، الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسيني، دار النوادر، دمشق، 2010م، ص 168.

ولما رأى خطة القضاء محفوظة بمكاره زيادة على كون العمل فيها أقل مما يتعلق به الهمة، راسل الحكومة بالاستغناء منها فرفضت في البداية ولكن بعد أن كرر عليها المراسلة والخطاب راسلته بقبول الاستقالة[1].

وعاد صاحب الترجمة إلى الحاضرة، وتصدى للتدريس بجامع الزيتونة الأعظم متطوعا، وكذلك نجده ضمن شيوخ جامع الزيتونة الأوائل الذين تزعموا حركة التعليم بتأسيس جمعية (تلاميذة جامع الزيتونة) سنة 1324هـ- 1906م[2].

وفي سنة 1325هـ، تولى وظيفة التدريس بالجامع الأعظم، وعين مدرسا بالمدرسة الصادقية، وانتخبه هيئة إدارة المدرسة الخلدونية[3] لدرس الإنشاء في هذه المدرسة وألقى بها محاضرة موضوعها "حياة اللغة العربية" وكان خاصا بالعلماء والناشئة المفكرة وبعض المستشرقين وضرب أطناب الإقامة[4]،وفي آخر هذه السنة أتم حفظ القرآن على ظهر قلب قلب وكان في خلال تعلم القرآن يتلقى دروسا في علم التوحيد والفقه والحديث وفي بلدة نفطه وبعضها في محاضرة تونس، وقد كان هذا العالم الفذ لا يغيب عن مجالس والده التي كانت محط رحال الزائرين من أهل العلم و الأدب وكثيرا ما تدور فيها المذكرات العلمية والأخلاقية[5].

[1]- علي رضا الحسيني، الإرث الفكري ....، المرجع السابق، ص،172.

[2]-علي رضا الحسيني، محمد الخضر حسين و إصلاح المجتمع الإسلامي، دمشق، 2010، ص 42.

[3]-المدرسة الخلدونية: في سنة 1896 دعى زعيم الحركة الإصلاحية الثاني يشير صفر إلى تكوين جمعية تسمى المدرسة الخلدونية، و كان الهدف من تكوينها هو إدخال الإصلاح على جامع الزيتونة ومساعدة الطلبة على تحسين مستواهم التعليمي. انظر:عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية 2014، ص 33.

[4]- علي الرضا الحسيني، الإرث الفكري ....، المرجع السابق، ص 168.

[5]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 30.

وفي سنة 1307هـ دخل الكلية الزيتونية، وقرأ على أشهر أستاذها وتخرج عليهم في العلوم الدينية قبل إتمام دراسته لكنه أبى وواظب على حضور دروس العلماء والأكابر مثل: الشيخ محمد النجار[1].

والشيخ سالم بوحاجب وكان يدرس صحيح البخاري،[2] وفي جامعة الزيتونة درس الخضر على يد كبار الشيوخ سنوات متواصلة حتى نال درجة الشهادة العالمية عام ألف وثمانمائة وثمانية وتسعين (1216هـ-1898م) وهو في الثالثة والعشرين من عمره[3] وسرعان ما عهد إلى هذا الخريج النابغ بالتدريس في جامعة الزيتونة على عادة النظام الذي كان معمولا به في الجامع الأزهر، والجامعات العالمية التي أخذت عنه[4].

وواصل الإمام الخضر نشاطه العلمي الكبير الذي بذله اثر تخرجه من جامع الزيتونة وراح يكثر من حضور المجالس العلمية والأدبية ويشارك في مختلفها ولم يرض بالعمل في الإدارة والاستقرار فيها بتحمل خطة كتابة أو أي خطة إدارية تنشأ بهما، وهذا ما مكنه من أن ينال شهرة كبيرة في أوساط الطلاب الزيتونيين ولدى العلماء والمثقفين[5].

---

[1]- الشيخ محمد النجار: عالم تونسي ولد يوم 15 شعبان 1255 ومن أهم مؤلفاته نجد: "صحيح الإمام البخاري" وكتاب بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق" توفي عام 1329هـ، بعد كتابه "العدوى الذي كتبه بمناسبة تفشي مرض الوباء بتونس. أنظر، علي الرضا الحسيني، تونس وجامع الزيتونة، دار النوادر، دمشق ، 2010، ص 121-122.

[2]- الشيخ سالم بوحاجب: (1827-1924) اللغوي و الفيلسوف والمربي كان من الشعراء الملهمين، فقد ترك ديوان من الشعر الجيد لم ينشر إلى الآن كما ترك كتابا مطبوعا، جمع فيه مختارات من خطبه المجمعية البليغة والمعبرة توفي في سن متقدمة (1924) وكان وقع وفاته شديدا على تلاميذه العديدين وعلى النخبة المثقفة. أنظر: الصادق الزمرلي، أعلام تونسيين، تح: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 169.

[3]- محمد الجوادي، مرجع سابق ، ص 18.

[4]- نفسه، ص 18.

[5]- محمد مواعدة مرجع سابق، ص 39.

المبحث الثاني: عمله السياسي و النضالي من خلال رحلاته .

إن العلاقة بين سكان بلدة نفطه مسقط رأس، الشيخ الخضر حسين وسكان القرى والمدن الموجودة في جنوب البلاد الجزائرية علاقة متينة جدا تتجاوز الجواز إلى النسب والمصاهرة حيث أن الترحال بين النفطيين كان سهل المنال.

أ-الرحلة الجزائرية:

قام الشيخ محمد الخضر حسين بزيارة إلى البلاد الجزائرية، وكان دافعه الأول هو نوع الصلات التي كانت تربط بين تونس والجزائر يضاف إلى ذلك سببان هامان أولهما أصل عائلته الجزائري الذي أشرنا إليه عند الحديث عن نسب الرجل، وقد كانت من العائلات الجزائرية الشهيرة في ميادين الدين، العلم، الأدب وثانيهما ميله إلى الرحلة باعتبارها وسيلة من وسائل الإصلاح والتعلم وسبيلا من سبل المعرفة والثقافة وتكوين الشخصية وإصلاح المجتمع الإسلامي[1].

وقد قام الشيخ محمد الخضر حسين برحلتين إلى الجزائر أما الرحلة الأولى فلم ينشر عنها صاحبها وصفا كما فعل بالنسبة إلى بقية الرحلات حسبما نعلم، إذ لم نجد أثرا في صحافة ذلك العهد ولا في أحاديثه عن مراحل حياته في بعض المقالات إلى أن الرجل قد تعرض في عدة مناسبات إلى الحديث عن زيارته للجزائر مع ذكر تواريخ مختلفة[2].

والدليل الوحيد الذي يثبت القيام بالرحلة الأولى إلى البلاد الجزائرية هو قول جلالة الإمام الخضر: كنت أسعفت فيما سلف من الزمان بإجراء سياحة في أطراف المملكة الجزائرية وبقيت النفس مستشرقة إلى إعادتها تارة أخرى إلى مدينة الجزائر نفسها، لنكون على بيئة من قدراتها تبلغ إليه حالتها العلمية، وحلية من أمر أخلاق أهلها الغالية وعاداتها العامة فإن لسان العيان أفصح من لسان البيان، وما برحت هذه الأمنية تتمثل

[1]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 40-41.

[2]- نفسه، ص42.

في الخيال وتجول في العقل حتى مكنتنا الفرصة من توطيدها[1]، وإبرازها إلى حيز الوجود في شهر رمضان المعظم من نفس السنة 1321هـ-1903م [2].

وقام الرجل برحلته الثانية إلى الجزائر في شهر رمضان1322هـ/ نوفمبر 1904م، وكتب وصفا عن هذه الرحلة من مجلة "السعادة العظمى"[3]: في العددين الآخرين، عدد 190 و20 الصادر في 16 شوال 1322هـ/23 ديسمبر 1904م، من الصفحة 289 إلى الصفحة 304 والعدد 21 الأخير الصادر في غرة ذي القعدة من نفس السنة الموافق لـ 7 جانفي 1905م[4].

وقد شرع الشيخ محمد الخضر حسين في هذه الرحلة يوم السبت 5 رمضان 1322هـ/12 نوفمبر 1904م، وانتهت يوم الثلاثاء 15 رمضان / 23 نوفمبر من نفس السنة، وهو اليوم الذي غادر فيه عاصمة الجزائر عائدا إلى بلاده، فتكون مدة إقامته بالبلاد الجزائرية قد بلغت أحدى عشر يوما، دون اعتبار المدة اللازمة لعودته إلى تونس التي لم نستطع التعرف عليها لعدم نشر القسم الأخير من الرحلة[5].

وقد سافر هذا الرجل متخذا سبله في البر لأنه أجمل منظرا وأقل خطرا وكان منفردا فلم يرافقه أحد من أفراد عائلته إلا في القسم الأخير من الرحلة، وزار أثناء الإحدى عشر يوما التي قضاها بالجزائر مدن : سوق أهراس ، تبسه ، عين البيضاء ، قسنطينة، باتنة والجزائر العاصمة التي كانت هدف رحلته هذه[6].

---

[1]- محمد صالح الجابري، خمس رحلات إلى الجزائر (محمد الخضر الحسيني وآخرون) ، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية، 2004، ص 27.

[2]- نفسه، ص 28.

[3]- نفسه، ص30.

[4]- علي رضا الحسيني، ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر، دار النوادر، دمشق، 2010م، ص 36.

[5]- نفسه،ص 37.

[6]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 45.

واهتم أثناء هذه الزيارة بالجانب الثقافي والديني فزار المساجد والمكتبات[1]، وحضر الدروس التي كانت تلقى في معاهد العلم فيها، وشارك في عدد من هذه المجالس، وألقى بعض الدروس الدينية والعلمية وكان قد تعرف على عدد كبير من الشيوخ والعلماء منهم الشيخ العلامة عبد القادر المجاوي[2]، كما تمكن الإمام من زيارة المكتبة العمومية في يومه الأخير من الرحلة وبهذا استطاع أن يطلع على مختلف معالم الثقافة في البلاد الجزائرية وقد تأثر بذلك تأثرا كبيرا دعم رغبته في القيام برحلات أخرى[3].

ب-رحلته إلى المشرق العربي:

حاول الإمام محمد الخضر حسين القيام برحلة إلى المشرق العربي سنة بعد حصوله على شهادة التطويع[4] في عام 1317هـ/1889م إلا أنه رجع من مدينة طرابلس الغرب ولكن شوقه إلى ذلك لم ينقطع وقد ازداد هذا الشوق شدة اثر انتقال إخوته الثلاثة: زين العابدين والمكي والعروسي أبناء الحسين واستقرارهم بدمشق العاصمة السورية سنة 1911م لدوافع نجهلها إلى الآن وكان قد ارتحل قبل ذلك خالة الشيخ محمد المكي ابن عزوز واستقر بالأستانة سنة 1313هـ/1889م، وبذلك فقد اجتمعت أسباب عديدة علمية وعائلية، وسياسية جعلت الشيخ محمد الخضر حسين يفكر في القيام برحلة إلى الشرق ويبدوا أن السبب العائلي كان مرجحا[5].

---

[1]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 45.

[2]- عبد القادر المجاوي: هو عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن الرحمان المجاوي، مصلح تقليدي سلفي ولد بتلمسان، وتعلم بها وبطنجة، وبتطاوين، وأكمل دراسته في جامعة القرويين بفاس وعاد إلى الجزائر، فعين مدرسا بجامع الكتاب بقسنطينة ثم بالمدرسة الكتابية من آثاره اللامع في إنكار البدع. أنظر: عادل نوهض، معجم أعلام الجزائر، ط2 مؤسسة نوهض الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت، لبنان، 1980، ص 286.

[3]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 46.

[4]-شهادة التطويع: هي الشهادة التي تحتم بها الدراسة قبل إحداث نظام شهادة التحصيل سنة 1933. انظر: عبد العزيز الثعالبي، روح التحرر في القران، تح: الساحلي، بيروت، 1985، ص 05.

[5]-محمد الخضر حسين، الرحلات، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 47.

وهذا ما نلتمسه من خلال قوله: "سنح لي باعث على الرحلة إلى بلاد الشام، وهو زيارة الأهل، وفاء بحق صلة الرحم، فامتطيت الباخرة يوم الخميس الرابع من شعبان سنة 1330 هـ، وعندما أقلعت من مرساها، وأخذت المباني التونسية تتوارى عن أبصارنا، أخذ الحنين إلى الوطن يتزايد، وحر الأسف لمفارقة الأصحاب يتصاعد"، وهكذا كانت بداية رحلة الإمام في 18 جويلية 1912 عن طريق البحر وأنهاها يوم الاثنين 16 ذي الحجة 24 نوفمبر من نفس السنة فتكون مدة الرحلة أربعة أشهر وستة أيام[1].

وقد زار خلال تلك المدة جزيرة مالطة ومدينة الإسكندرية التي قام بجولة في بعض أحيائها واطلع على أهم مساجدها ومكتباتها وقال في هذا الصدد: " امتطيت عربة أتت بناءا على مكتبتها القائمة بإزاء إدارة البلدية، فطالعت صحائف متفرقة من نموذج كتبها ولم يقع بصري فيما طالعته على كتاب نادر يستحق أن نذكره"[2].

ثم انتقل إلى القاهرة مرورا بجامع الأزهر[3] وقد ابتهج طلاب الأزهر المغاربة بقدومه وقد ألحوا عليه صحبة عدد من الطلبة الشيوخ إلقاء درس بالأزهر محافظة على نية الكثير من أهل القلم حيث يمرون بهذا المعهد العلمي الكبير، فلبي هذا الطلب ،وألقى درسا في التفسير نال إعجاب الحاضرين وتقديرهم لغزارة علمه، وسمعة إطلاعه ودقة معارفه وقوة حجته[4].

ثم بارح مدينة القاهرة يوم الأحد 14 شعبان سنة 1330هـ/28 جويلية 1912م فزار بور سعيد، ثم يافا ، وحيفا ، وكان أثناء تنقله عبر المدن يتصل بالعلماء والأدباء ويتحاور معهم في قضايا فقهية وأدبية ولغوية. وقد دخل مدينة دمشق يوم 31 جويلية

[1]–محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 61.

[2]– محمد الخضر حسين، المرجع السابق، ص 50.

[3]– جامع الأزهر: أنشأ عام 359 هـ/ 970م، تم بناؤه في عامين وبضعة أشهر، وافتتح للصلاة في يوم الجمعة السابع من رمضان سنة 972م، سمي في البداية بجامع القاهرة، وبعدها سمي بالأزهر في عهد العزيز بالله (الفاطمي) التي أنشأ قصور أطلق عليها اسم الزاهرة ومنها جاءت التسمية بالمستقبل. أنظر: عبد المنعم خفاجي، الأزهر في ألف عام، ج 4، ط3، المكتبة الأزهرية للتراث، 2012، ص 221.

[4]– محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 62.

1912 حيث استقر مع إخوته بحي الميدان، وقد استقبله علماء دمشق ووجهاؤها استقبالا وقد قضى الشيخ محمد الخضر بدمشق كامل شهر رمضان زار خلاله أهم المؤسسات الثقافية بالعاصمة السورية وخاصة الجامع الأموي حيث ألقى اثني عشر درسا في الحديث حضرها عدد كبير من طلاب العلم و الشيوخ[1] وعمل بالتدريس في مدرسة السلطانية سنة 30 هجرية (1912م) وقضى زيارته لدمشق ستة أسابع غادرها إلى بيروت (شوال 1330هـ/1912م) ثم إلى اسطنبول حيث استقر خاله وأستاذه المكي بن عزوز وكان قد فارقه من 15 عاما وقد بقي الشيخ في اسطنبول شهرين كاملين أي بأكثر مما بقي بدمشق وكانت الأستانة في تلك الفترة تشهد منذ نهاية الدولة العثمانية، وقد انتدبته هذه الدولة للسفر مع الشيخ عبد العزيز جاويش[2] إلى برلين، وقد نشر الأستاذ عن هذه الرحلة مقالات متميزة في جريدة "المقتبس" الدمشقية، وبذلك أصبحت ألمانيا المحطة الرابعة في حياته بعيدا عن مسقط رأسه في الجزائر، وبعد تونس ، سوريا وتركيا[3].

وبارح الشيخ محمد الخضر حسين الأستانة يوم السبت 7 ذي الحجة سنة 1330هـ/16 نوفمبر 1912م، عائدا إلى تونس التي وصل إليها يوم الاثنين 16 ذي الحجة / 24 نوفمبر من نفس السنة، فوجد إدارة المدرسة الصادقية قد فصلته عن التدريس بهذا المعهد الذي التحق به منذ 1907 م، السبب وراء ذلك هو عدم مباشرته بخطة التدريس وقد مر شهران تقريبا عن افتتاح السنة الدراسية، وواصل الشيخ محمد الخضر حسين نشاطه الثقافي بإلقاء الدروس بجامع الزيتونة كما ألقى محاضرته " مدراك الشريعة الإسلامية بنادي جمعية قدماء الصادقية، وهي آخر محاضرة له بتونس، ولم يدم

[1]– محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 62.

[2]– الشيخ عبد العزيز جاويش: تلقى تعليمه بالأزهر، و دار العلوم ثم سافر إلى انجلترا طالبا وأستاذا للغة العربية بجامعة اوكسفورد، و كان صاحب فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 1914 وأعاد إصلاح كلية صلاح الدين بالقدس، وعوهد إليه بإدارته، وخلف عدة تلاميذ منهم: زكي مبارك وشكيب آرسلان . انظر: محي الدين الطعمي، النور الأبهر في طبقات شيوخ جامع الأزهر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 79.

[3]– محمد الجوادي، المرجع السابق، ص 24.

هذا النشاط طويلا فتغلبت عليه رغبة العودة إلى الشرق و الاستقرار مع اخوته بدمشق فقرر الارتحال إلى الشام نهائيا خلال شهر ديسمبر سنة 1912م، مودعا زوجته التي رفض أهلها مرافقتها قائلا[1]:

جارتي منذ صحوة العمر عذرا لأخي خطرة نأى عنه بيتك[2].

كما ودع أصدقاءه بتونس من علماء وأدباء ربطت بينه وبينهم صلات حب المعرفة و الإصلاح قاصدا الشام عن طريق البلاد الجزائرية، وكان الشيخ محمد الخضر الحسين بهذا الارتحال إلى بلاد المشرق قد طوى قسما هاما وثريا من حياته (وكانت سنه تناهز الأربعين) تكونت فيه شخصيته العلمية وعززت معارفه مما جعلها تبحث عن مجالات أوسع وآفاق أرحب[3].

ج-الرحلة من دمشق إلى مصر:

عبر المؤرخون عن هذه الرحلة بتسميتها بالمرحلة والمرحلة السورية في حياة الإمام محمد الخضر حسين تنحصر من تاريخ الرابع شعبان(1331هـ- الموافق ديسمبر 1912م) عندما أقلعت الباخرة من مرساها في تونس إلى دمشق، حتى عام (1939هـ-1920م) خروجه من سوريا إلى مصر.

وفي هذه المرحلة نميز ثلاث ومضات هامة من حياته: بداية نشاطه العلمي الغزير ومكانته السامية في الأوساط السورية، ويليها دخوله السجن في عهد السفاح جمال باشا[4] وأخيرا نضاله السياسي في ألمانيا من أجل المغرب العربي والإسلام[5].

---

[1]- محمد مواعدة، مرجع سابق ، ص 65.

[2]- محمد الخضر حسين، ديوان خواطر الحياة...، مرجع سابق، ص 134.

[3]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 66.

[4]- جمال باشا: (1873-1922) قائد الجيش الرابع عثماني ووزير للبحرية، عين حاكما على سوريا وبلاد الشام عام 1915م، وفرض سلطانه على بلاد الشام، وأصبح الحاكم المطلق فيها. أنظر: يوسف عزت بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ط 1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1995، ص 85.

[5]-علي الرضا الحسيني، الإمام محمد الخضر...، مرجع سابق، ص 47-48.

دخل الشيخ الخضر إلى دمشق على القطار القادم من بيروت وعند مدخل مدينة دمشق حيث الغوصة الغربية الجميلة، والوادي الضيث بين جبلين، وهر بردي يقطع الوادي عند الربوة فأنصت مشاعره بقوله[1]

لج القطار بنا و النار تسحبه مابين رائق أشجار وأنهار[2]

لقد سبقت الإمام شهرته العلمية في الأوساط الثقافية بدمشق، وهذا ما جعل العلماء و الأدباء يبادرون باستقباله بالترحيب في المجالس و النوادي، كما التف حوله طلبة العلم في حلقات الدرس و البحث، فأعطى كل فريق حقه ووزع أوقاته للتدريس بين الجامع الأموي، ونوادي دمشق وفي مجالس الخاصة على مدار الأسبوع، وهذا عند مستهل رسالته لصديقه محمد الصادق النيفر[3]: "لقينا من أهل دمشق حفاوة واحتراما فوق ما نستحق لاسيما من الناشئة المتأدبة وكثير من أهل الفضل والعلم، حتى ظهر[4] منهم الاستبشار وأقبلوا على تهنئتنا عندما بلغهم تعيننا لتدريس آداب اللغة العربية و الفلسفية بمكتبتهم[5].

[1]– علي الرضا الحسيني، الإمام محمد الخضر...، مرجع سابق، ص ص 47–48.

[2]– محمد الخضر الحسين، ديوان خواطر الحياة...، مرجع سابق، ص 108.

[3]– محمد الصادق النيفر: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم النيفر، ولد سنة 1222م، والده من كبار التجار بسوق العطارين، من أهم مؤلفاته "رسالة في البسملة" توفي سنة 1277م. أنظر: الحسيني، تونس وجامع الزيتونة مرجع سابق، ص 120–122.

[4]– علي الرضا الحسيني، الإمام محمد الخضر...، مرجع سابق، ص 49.

[5]– علي رضا الحسيني، مذكرات وأوراق محمد...، مرجع سابق، ص ص 21–23.

وعقد الشيخ الخضر صداقات مع كبار العلماء والمفكرين بدمشق ومنهم: خير الدين الزركلي[1] صاحب (كتاب الأعلام)، وأصبح عضوا عاملا في المجمع العلمي العربي بدمشق بجلسته الأولى في 30 جويلية 1919م. وكما أن فضيلة الشيخ قد نظم خلال إقامته في دمشق قصائد رائعة في مناسبات عدة مختلفة، وكذلك مخاطبته لصديقه الشاعر الأستاذ خير الدين الزركلي، وكان مستهلها[2]:

يا محضرا في برد شعر رائع * * * * روح ابن بود وهو يلفظ بالحكم[3]

هذا أبرز ما تعلمه الإمام في هذه المرحلة والتي تميزت أيضا بمعايشته للظلم والعذاب وهذا في ظل السفاح التركي الذي أدخله إلى السجن، فبعدما اندلعت الحرب العالمية الأولى تولى القائد التركي جمال باشا حكم البلاد السورية، وكان مشهورا بظلمه وتعسفه وجبروته، وخاصة مع المفكرين ورجال النخبة المثقفة، وخلال سنة 1916م قام عدد من الوطنيين[4] في سوريا بحركة ضد نظام الحكم العثماني في الجزائر، فقاومها جمال باشا بعنف شديد وذلك بسجن وقتل عدد من المفكرين ومن بين الذين اتهمهم بمعرفة هذه الحركة المتآمرة وعدم إعلام السلطة التركية بها هو الشيخ محمد الخضر حسين، فأدخله السجن يوم 15 أوت سنة 1916م من شهر رمضان سنة 1334 هـ، وبقي حتى ربيع الثاني 1355هـ/29 جانفي1916م[5]، وجرت محاكمته أمام المجلس العرفي العسكري وطلب المدعي العام من هيئة المحكمة إنزال عقوبة الإعدام بالإمام بحجة أنه حضر

---

[1]– خير الدين الزركلي: ترجمته: هو خير الدين بن محمود بن محمد بن علي فارس، الزركلي (الزاي والراء) الدمشقي ولد ليلة 9 ذي الحجة 1319، 25 يونيه 1893، في بيروت وكانت لوادي تجارة فيها وهو وأمي دمشقيان، أما ما نشر من كتب فهو 4 ما رأيت وما سمعت وعامان في عمان والأعلام ط1 وط2 توفي في 03 ذي الحجة 1396، 20= =تشرين الثاني. أنظر، خير الدين الزركلي (الأعلام)، ج 8، ط 5، دار العلم للملايين، 1980م، ص ص 269–270.

[2]– علي رضا الحسيني، الإمام محمد الخضر ...، مرجع سابق، ص 50.

[3]– محمد الخضر حسين، ديوان خواطر الحياة...، مصدر سابق، ص56.

[4]– علي رضا الحسيني، الإمام محمد الخضر ...، مرجع سابق ،ص 193.

[5]– محمد مواعدة ، مرجع سابق، ص 70–71.

مجلسا أخذ فيه بعض المحامين يتحدث في سياسة الدولة بعبارات جافية، حتى استفتي في نكث العهد من طاعتها، فأخذت أكافحه بالحجة وأقاومه بالموعظة وضرب المثل وقد سعى المحامي إلى تأسيس جمعية تدعو إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، والخروج عنها ثم إن إدارة البوليس رأتني مسؤولا عن عدم إبلاغ ما صدر من ذلك المحامي للحكومة في حينه وأذنت باعتقاله حتى يرى المجلس العرفي رأيه[1].

ودام الاعتقال ستة أشهر وأربعة عشر يوما في خان (مردم بك) بمدينة دمشق وهو مكان مخصص لاعتقال رجال السياسة في عهد جمال باشا، وقد حكم المجلس العرفي بالبراءة وقرر المجلس العرفي ما قدم له المدعي العمومي من مخاطبة جمال باشا بطلب مكافأة وقد نظم الإمام أثناء دخوله السجن مجموعة من الأبيات وكان مستهلها قوله[2]:

جرى سمر يوم اعتقلنا بصدق * * * ضحانا به ليل وسامرنا رمس

فقال رفيقي في شقا الحبس إن في * * * الحضارة أناسا لا يقاس به أنس

فقلت له : فضل البداوة راجع * * * وحسبك أن البدو ليس به حبس [3]

عاد الشيخ الخضر حسين بعد خروجه من السجن إلى ممارسة التدريس في المدرسة السلطانية و الجامع الأموي ،وبعدها عاد الشيخ إلى اسطنبول فأقام فيها وفي أثناء الحرب العالمية الأولى انتدبته وزارة الحربية العثمانية للعمل فيها بناظر أقسام الصحافة و الإعلام و الدعاية الآن وفي تلك الفترة كانت وظيفة التحرير تسمى "منشئ" نسبة إلى الكلمة الشهيرة التي نرددها دون مشتقاتها و هي الإنشاء للدلالة على دروس التعبير وامتحاناته[4].

[1]– علي رضا الحسيني، جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 12–13.

[2]– نفسه،ص 13.

[3]– محمد الخضر حسين، ديوان خواطر الحياة...، مصدر سابق ، ص 121.

[4]– محمد الجوادي، مرجع سابق، ص 25.

وقد قضى الشيخ بعض الوقت في هذه الوظيفة في اسطنبول ثم كلف مع مجموعة من علماء الدين بالسفر إلى ألمانيا في مهمة سياسته استهدفت استقطاب المغاربة المقيمة في ألمانيا ليكونوا ضد الفرنسيين و الايطاليين الذين كانوا يسيطرون بالاحتلال على بلاد المغرب و ليبيا فقضى الشيخ ستة شهور من حياته في هذه المهمة وانتهز الفرصة لتعلم الألمانية ثم عاد إلى اسطنبول وبعد فترة أعيد مرة أخرى إلى برلين حيث فتحت أزير الرصاص ومع ذوي القاذفات و القذائف وفي الأتون المشتعل لهبا ودمارا وعجيج الحرب وضجيجها يملأ الأسماع ليل نهار، وفي ذاك الجو المرعب الرهيب وقف الرجل المؤمن الصابر يدعوا الجنود المغاربة الذين وقعوا أسرى الأمان إلى الثورة ضد فرنسا[1].

فقد جند الاستعمار الفرنسي مئات الآلاف من أبناء شمال إفريقيا بالإرهاب و القصر في صفوف جيوشه وساقهم سوق القطيع إلى مذابح الحرب، ودفع بهم إلى الخطوط الأولى من المعارك التي يخوضها مع ألمانيا فوقع بالأسر عدد كبير من المغاربة وخاصة من التونسيين و الجزائريين وكان الإمام يتصل بهم ويؤانسهم ويحرضهم على القتال ضد فرنسا وليس معها لأن بلادهم تحتاج إليهم في هذا الموقف ويدعوهم إلى التطوع و الجهاد ضد فرنسا[2] .

أقام في ألمانيا تسعة أشهر في عام 1917م ، ثم أقام فيها مرة ثانية مدة سبعة أشهر في عام 1918م، وقد شارك في نشاط اللجنة التونسية الجزائرية لتحرير بلاد المغرب و الدفاع عن قضاياها وله في الصحف كتابات هامة كما ألقى المحاضرات على الجنود المغاربة الأسرى في جيوش دول الحلفاء و العمل على إمالتهم وضمهم إلى جانب الثورة من أجل الاستقلال و الحرية لأوطانهم[3]، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى وهزيمة الألمان و الدولة العثمانية معا عاد الشيخ الخضر إلى اسطنبول عن طريق البحر من

[1]– علي رضا الحسيني، جبهة الدفاع...، مرجع سابق، ص 15.

[2]– نفسه، ص 16.

[3]– نفسه ص 17.

ميناء هامبورج الألماني، وتصادف أن دمشق في هذه الفترة أصبحت عاصمة دولة عربية إطار المشروع الذي كان الشريف حسين[1] يعمل من أجله بإقامة دولة عربية موحدة تجمع الأقاليم العربية في الدولة العثمانية[2].

وهكذا وجد الشيخ الخضر بعد أن انتهت الحرب الأولى أن من الأولى به أن يستقر في دمشق التي استقر فيها من قبل حيث أنه في دمشق كان اسمه معروفا وكان علمه مقدرا للدرجة التي جعلته واحدا من أعضاء أول مجمع عربي تأسس وهو المجمع العلمي[3] العربي الذي تأسس 1919 وهكذا قدر للأستاذ أن يتنفس الأمل في دولة اسلامية عربية مستقلة حديثة لكن هذا الأمل لم يدم طويلا فبعد أن استولت فرنسا على دمشق جعل الأستاذ الخضر يعيد حساباته، ذلك لأنه كان محكوما عليه في تونس بالإعدام نظرا لنشاطه الإعلامي في الحرب العالمية الأولى ولهذا أثر الشيخ الخضر حسين أن يبتعد عن وجه الفرنسيين وأن يرتقي بنشاطه وعلمه فجاء إلى القاهرة وكتب له أن يبقى فيها حتى توفي وهكذا أصبحت مصر خامس آخر المحطات في حياته لكنها لحسن الحظ ستستثوب به وبعلمه ونشاطه طيلة أربعة عقود[4].

---

[1]– الشريف حسين: هو الشريف الحسين بن محمد بن عون، تولى الإمارة عام 1877م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وكان قد خلف أخاه الشريف عبد الله الذي خلع عن الحكم في السنة التالية من حكم السلطان عبد الحميد، ولكن =الشريف حسين تمتع بمنصبه طويلا فقد لقي حتفه مقتولا يطعنه بسكين في حده عام 1880 وكان عمره 420 سنة. أنظر: سعود كليب الفواز، المرسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين (1908–1918) مكتبة الإسكندرية 1992، ص 38.

[2]– علي رضا الحسيني، جبهة الدفاع...، مرجع سابق،ص17.

[3]–المجمع العلمي: تأسس المجمع العلمي العربي بدمشق 1919، وعقد جلسته الأولى يوم 30 جويلية من نفس السنة وقد وقع تعيين الشيخ محمد الخضر حسين عضوا عاملا بالمجمع صحبة مجموعة من الباحثين، والعلماء منهم محمد بن أبي شنب الجزائري، وحسن حسين عبد الوهاب التونسي، ومن المستشرقين ماسينيون الفرنسي. انظر: محمد مواعدة مرجع سابق، ص80

[4]– محمد الجوادي، المرجع نفسه، ص 26–27.

المبحث الثالث: موجز نشاطه العلمي و التحري بمصر

تعد مصر من أهم المحطات وآخرها التي مر بها الإمام الخضر، والتي كان لها الدور البارز في تكوين شخصيته التكوين الشامل وقد مثلت هذه المرحلة من حياته مرحلة المجد الثقافي والشهرة.

أ-قبل اعتلاء الأزهر:

كان حضور السيد محمد الخضر حسين إلى مصر في وقت كانت في أمس الحاجة إليه ليقف مع أنصار الدعوة الإسلامية أمام دعاة الإلحاد وأتباع الثقافة الاستعمارية في مصر حيث عمل في البداية مصححا بدار الكتب المصرية بأجر زهيد لمدة خمس سنوات والتقى كبار العلماء وآثره الأستاذ أحمد تيمور باشا بصداقة[1] .

وكان الإمام حريصا على الدعوة إلى اتحاد الأمة، والعمل على جمع الأفراد في جمعيات تكسبهم قوة، وما تحققه الجماعة لا يحققه الواحد فأسس الإمام "جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية" سنة 1342هـ، جوان حزيران 1924م، وسن قانونا لها، ويقول عنها الإمام "تأسست هذه الجمعية لتنهض بجاليات أفريقيا الشمالية، حتى سيروا مع إخوانهم المصريين جنبا إلى جنب يأسرونهم في أفكارهم في آدابهم في معارفهم في كل شأن من شؤون حياتهم الاجتماعية الراقية وكذلك يجب على كل جالية تعيش في بيئة هي أوسع من أوطانها حرية واحتمالا للمشروعات الإصلاحية وقد ساهمت الجمعية في نشاط ثقافي وشكلت لجنة لنشر آداب إفريقيا الشمالية وقد ترأس محمد الخضر حسين هذه الجمعية[2] .

[1]- عبد الله العقيل، المرجع سابق، ص 847.

[2]- علي رضا الحسيني، جبهة الدفاع...، المرجع نفسه، ص 18-19.

هذا إضافة إلى موقفه من إصدار كتاب الإسلام وأصول الحكم العلي عبد الرزاق[1] الذي تابع تأليفه آراء المستشرقين وكرر مقولا تهم ومزاعمهم انبري له الشيخ محمد الخضر حسين وتصدى لهذا الافك المبين والكذب الصريح وتعقبه حتى أتى على بنيانه من القواعد وأسقط في يده وانهارت مزاعمه ومزاعم أساتذته من المستشرقين الحاقدين على الإسلام و المسلمين[2].

وكذلك الحال حين ظهر كتاب "في شعر الجاهلي" لطه حسين [3]الذي هاجم فيه القرآن الكريم إرضاء لأساتذته من المستشرقين فقام محمد الخضر حسين بالرد عليه مفحما، والقمة حجرا إذ قام الشيخ بالغوص على النصوص العربية و لم يدع شبهة إلا ردها[4].

لم يكتفي محمد الحسين بهذا فحسب بل واصل نشاطه واتجه إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية فكان أحد مؤسسي (جمعية الشبان المسلمين) ووضع لا تحتها مع صديقه الأستاذ أحمد تيمور باسا كما أسس الشيخ جمعية الهداية الإسلامية[5] وكان ذلك يوم 13 رجب سنة 1346هـ/ 6 جانفي 1928م ، وكانت تهدف هذه الجمعية إلى التعريف بحقائق الإسلام ونشرها بأسلوب يلاءم روح العصر وكذا مقاومة الإلحاد و الدعايات المناوئة للدين الإسلامي بطرق علمية و السعي لتمتين الصلات بين الشعوب الإسلامية

---

[1]– علي عبد الرزاق: (1888–1966م) ولد سنة 1888م، وهو شيخ أزهري من متابعي المصلح النهوض الإمام محمد عبده، وهو مفكر عربي مصري، سنة 1925 صدر كتاب القاضي الشيخ عبد الرزاق الإسلام وأصول الحكم وفيه يفصل صاحبه بين السلطة والسياسة والدين وقد تلقى فيه نقدا لاذعا من طرف هيئة العلماء، وتسبب في طرده من شيخه الأزهر. أنظر: خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، ط 1، المؤسسة العربية 2001م، ص 95.

[2]– علي رضا الحسيني، جبهة الدفاع...، المرجع سابق، ص 412.

[3]–طه حسين:(1889–1973م) ولد في مصر العليا،او الصعيد المصري،فقد بصره طفلا و هو قراني الاسم و التنشئة، و أزهري التربية،حداثوي التوجيه.و هو عالم فكري قائم بذاته،له العديد من المؤلفات أبرزها "الأيام"،و "حديث الأربعاء"، وعلى هامش السيرة عاش 84 عاما وتوفي سنة 1973م. انظر: خليل احمد خليل، مرجع سابق، ص 321.

[4]– عبد الله العقيل، المرجع سابق، ص 93.

[5]–نـفـسه ،ص94

وتوثيق الروابط بينهما، وقد استعملت الجمعية وسيلتين لتحقيق ذلك وهما إلقاء المحاضرات و المسامرات في المساجد عقب صلاة الجمعة وفي بعض النوادي التابعة لفروعها وإصدار مجلة تحمل اسم الجمعية "مجلة الهداية الإسلامية[1].

وشارك في تحريرها نخبة من العلماء و الفقهاء في الدين و الأدب وقد ترأسها السيد محمد اخضر، وكان قد تحقق بصدور العدد الأول من المجلة في جمادي الأولى سنة 1347هـ/ أكتوبر 1928م ، استمر بروزها شهريا إلى انقطاعها في الحرب العالمية الثانية فقد كان الإمام الخضر بذل كل جهوده ف ميدان التأليف و إلقاء المحاضرات و الدروس وكتابة المقالات في المجلات و الصحف فأظهر بذلك كفاءته العلمية وقيمته الشخصية وهذا ما أهله للتدريس في قسم التخصص بالجامع الأزهر سنة 1927م[2].

ولنزاهة هذا العالم الفذ نلمس له موقفه أثناء قيامه بالتدريس حيث كان يأبى أو يوقع على الساعة التي يدرسها إلا إذا امتلأت من أول دقيقة فيها إلى آخر لحظة بالتعلم و الإفادة ومعنى ذلك أن الساعات التي كانت تذهب ببعضها فوضى الطلاب بسبب الشؤون العامة أو الخاصة لم يكن يرض أن يأخذ عليها أي أجر، وكان أيضا من أعقاب هذا التدريس إصدار مجلة نور الإسلام، وكانت افتتاحية العدد لهذه المجلة الدينية العلمية الأخلاقية و التاريخية الحكمية الذي صدر في شهر محرم سنة 1349هـ شهر جوان 1930م ، و الغرض من ورائها هو إظهار حقائق الإسلام ناصعة جلية بعيدة عن كل ليس و سوء تأويل نشر آدابه، ودفعه الشبهات التي يريد الملحدون إلصاقها به،[3]

[1]–مجلة الهداية الإسلامية: كانت تنشر أخبار عن البلاد التونسية و مقالات عن ابرز شخصياتها العلمية مثل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور للتعريف بهم و بقيمتهم بالمشرق العربي،كما كانت تنشر بحوثا يكتبها علماء تونسيون، وهي تدعو إلى الإصلاح وتواصل البحث عن الحقائق الدينية والعلمية. انظر: محمد الخضر حسين، "كلمة عن الهداية الإسلامية" ،عن مجلة الهداية الإسلامية، م11، ج1 ،القاهرة، 1929، ص 01.

[2]– محمد مواعدة ،المرجع سابق، ص98–99.

[3]– محمد سعيد رمضان البوطي،من الفكر والقلب ،ط2،دار الفقيه للنشر والتوزيع،1997،ص313.

هذا إلى جانب ترأس الشيخ لجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية التي استمرت في نشاطها الدءوب طيلة أربعينيات القرن الماضي ،و التي تعد محطة هامة من محطات النضال الوطني التي خطها الشيخ محمد الخضر حسين ،و كانت غايتها الدفاع عن شعوب شمال إفريقيا ،و تحرير أوطانهم من المعتدين ،و قد جمع حوله نخبة من المصلحين و العلماء و الكتاب و الأساتذة،من مصر و الجزائر و تونس و ليبيا[1].

و قد قامت هذه الجمعية في تلك الظروف الاستثنائية بنشاط متميز من خلال عقد المؤتمرات،واللقاءات ،و تحرير البرقيات و الرسائل،و المذكرات التي كان يعدها بنفسه،أو رفقة سكرتير الجبهة المجاهد الأستاذ الفضيل الورتيلاني[2] ،و كان يحرص على إرسالها إلى سياسة العالم و القوى المحبة للسلام و المنظمات العربية و الدولية ،و هذا في سبيل تحرير المغرب العربي.هذا كله إضافة إلى المجهودات الجبارة الأخرى التي قام بها الشيخ الجليل و بقيت شاهدة له و هي اختياره عضوا في مجمع اللغة العربية بمصر ،وقد كانت له بحوث في مجلة المجتمع تدل على تمكنه من علوم اللغة[3].

ب-تولي مشيخة الأزهر:

في حياة الشيخ محمد الخضر حسين مواقف إسلامية ووطنية عظيمة، فظل طوال حياته كارها للاستعمار مناديا بالتحرير، منددا بالاستعباد وأن الله سبحانه ما خلق الناس و شرع الجهاد إلا من أجل أن يعيشوا في أوطانهم أحرارا وما قامت ثورة 23 يوليو 1952م ، إلا للقضاء على الظلم و الطغيان ومقاومته وعدم استعباد الإنسان لأخيه الإنسان ،

---

[1]-فوزي المصمودي ،مقال عن محمد الخضر حسين الجزائري و نضاله التحرري من خلال جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية،الجزائر ، 2015،ص03.

[2]- الفضيل الورتيلاني: ولد الشيخ الفضيل في قرية انو المجاورة لبني ورتيلان في القبائل الصغرى عام 1900 وقيل عام 1906، وينحدر من أسرة الرحالة المشهور الشيخ الحسين الورتيلاني صاحب الرحلة المشهورة المعروفة بالرحلة الورتيلانية، التي حققها ونشرها العالم محمد بن أبي شنب في مطلع هذا القرن، ومن مؤلفاته المشهورة "الجزائر الثائرة" الذي كتبها قبل وفاته. انظر: يحي بوعزيز ،إعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص 185-188.

[3]-فوزي المصمودي، مقال سابق، ص05.

وقامت الثورة ليس في مصر وحدها وإنما في العالم العربي كله وأعلنت شعار القومية العربية[1]، وأسهمت في استغلال السودان وإجلاء الاستعمار عن مصر وأعانت الثورة الجزائرية ومدت يدها إلى هيئات التحرر في البلاد العربية، والأفريقية و الإسلامية وفي مستهل عهد الثورة المصرية رأت أن يتولى قيادة الأزهر مناضل عربي من زعماء علماء المسلمين ومن قادتهم في مناضلة الاستعمار في أقطار العالم العربي فاستقر الإجماع على اختيار الشيخ محمد الخضر حسين[2].

حيث صدر في المجلة الأولى بمصر في صباح يوم الأربعاء 27 من ذي الحجة سنة 1371هـ/17 سبتمبر سنة 1952م العدد 24049 وفي صدرها المقال الآتي : كانت مفاجأة حيث خرج ثلاثة من حضارات الوزراء وعلى رأسهم كان الوزير أحمد حسن الباقوري [3]، من مجلس الوزراء أثناء انعقاده وتوجهوا إلى جهة لم يشأ أحد أن يذكر عنها شيئا ولكن الصحفيين رأوا أن يقتفوا أثرهم ولشد ما كانت دهشتهم بالغة حينما رأوهم يدخلون بيتا صغيرا من البيوت الواقعة في شارع "خبرت" ويطرقون باب شقة متواضعة يسكنها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الخضر حسين عضو كبار العلماء ورئيس مجلة الأزهر السابق ولئن كانت هذه المفاجأة أدهشت الصحفيين فإن فضيلة الشيخ

[1]– القومية العربية: في مفهومها المعاصر هي الإيمان بأن الشعب العربي واحد تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصالح وبأن دولة عربية واحدة ستقوم لتجمع العرب ضمن حدودها من المحيط إلى الخليج. أنظر: عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت، 2008، ص 24.

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي ، الأزهر في ألف عام، ج 2، ط 3، المكتبة الأزهرية للتراث، 2012م، ص 256.

[3]– أحمد حسن الباقوري: ولد في باقور محافظة أسيوط في مايو 1909م، وحفظ القرآن الكريم في كتاب القرية ثم التحق بالمعهد الديني بأسيوط، وحصل على الشهادة الابتدائية وتقدم لنيل الشهادة الثانوية من الخارج بعد سنتين. أنظر: عبد المنعم خفاجي، ج 4، مصدر سابق، ص 325.

الجليل الأستاذ محمد الخضر كان أكثرهم دهشة حيث تحدث إليه الوزراء الثلاثة وعرضوا عليه مشيخة الأزهر باسم مجلس الوزراء واسم الرئيس اللواء محمد نجيب.[1]

وتولى الإمام الخضر مهام منصبه وفي ذهنه برنامج إصلاحي كبير للنهضة بهذه المؤسسة الإسلامية الكبرى*، وجعلها وسيلة لبعث النهضة الإسلامية العظمى التي يتطلع إليها العالم الإسلامي ويذكر العلماء وغيرهم ومن كانت لهم بالإمام صلة أنه أعطى المنصب حقه من الرعاية و التكريم وأصبح اسم الأزهر عاليا كما كان لا يتهاون مع من يمس كرامة الأزهر سواء من حاكم أو محكوم ولكن لم يكن الذي أراد أن يطبق فقام هذا الأخير بتقديم استقالته[2].

وكان الشيخ محمد الخضر حسين إثر توليه مشيخة الأزهر كتب استقالة غير مؤرخة من صورتين احتفظ بإحداهما في مكتبه وأعطى الأخرى لأحد زملائه قائلا له إذ رأيتني ضعيفا في موقف من المواقف فابعث بالصورة التي معك إلى المسؤولين نيابة عني، وهذه مسؤوليتك أمام الله وفي عام 1953م حدث اعتداء فرنسا على السلطان المغرب محمد الخامس[3] لمواقفه الوطنية وأبعد عن بلاده لكن بعض القبائل العميلة للاستعمار الفرنسي آزرت المعتدي وعقد الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين جلسة

[1]– محمد نجيب: سياسي و عسكري مصري، وهو أول رئيس لجمهورية مصر وقائد ثورة 23 يوليو 1952، تولى عدة مناصب أهمها: رئيس الوزراء في مصر ومنصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية. انظر: محمد ثروت، الأوراق السرية لمحمد نجيب، ط1، دار الحياة، مصر، 2013، ص 35.

*–انظر الملحق رقم04:محمد الخضر يتولى مشيخة الازهر.

[2]– عبد المنعم الخفاجي، مصدر سابق، ص 256.

[3]– محمد الخامس: بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هاشم بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف بن العلوي، ولد سنة 1327هـ/10 أغسطس، 109 بالقصر السلطاني بفأس، وتوفي 1381هـ 26 فبراير 1961م بفأس. أنظر: عبد الرحمن بن زيدان، الدور الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفأس الزاهرة المطبعة الاقتصادية الرباط، المغرب، 1937، ص 139.

لهيئة كبار العلماء[1] وأصدر بيانا شديد اللهجة ضد عدوان فرنسا السلطان الشرعي واعتبر البيان أن العملاء الخونة خارجون عن الإسلام لموالاتهم العدو و الكافر المغتصب وأرسل البيان إلى جريدة الأهرام التي عرفت بولائها لكل حكومة وعرضته على المسؤولين الذين طلبوا إرجاء نشره[2].

في الصباح لم يجد الشيخ بيان هيئة كبار العلماء منشورا في الجريدة، فأرفق مع صورة من البيان وأرسلها إلى رئيس الجمهورية وكان نشر البيان في اليوم التالي: تجنبا لمصادمات قد تحدث مع الأزهر شيوخا وطلابا حين تشاع الاستقالة[3]

ج-وفاته:

فعلا استقال الشيخ من مشيخة الأزهر ولكنه لم ينزل ليستريح و لم يترك مشيخة الأزهر ليخلد إلى السكون بل ظل واقفا نفسه لخدمة الإسلام و الدفاع عنه في كل ما يمكنه من مجال حيث عمل رئيسا للتحرير في مجلة لواء الإسلام[4] ولما تملكته الشيخوخة ودب إلى أطوافه الضعف ، ولم يعد يستطع الدوام في مركز المجلة استأذن من مؤسسها أن يتولى الكتابة لها و الإشراف على موادها في مكتبة في البيت ولم يرض أن يأخذ بعدئذ لقاء عمله أي شيء وكان يرى أن رئيس التحرير ليس له أن يقعد في بيته ثم يأخذ

---

[1]- هيئة كبار العلماء: أنشأت هذه الجماعة بمقتضى قانون إصلاح الأزهر الذي صدر عام 1911 وقد ظلت قائمة حتى اليوم، وأعضاؤها يظلون في مناصبهم العلمية حتى الوفاة، وقامت هذه الجماعة بالنهوض بأعباء الإصلاح الديني =المنشود، وتحمل عبئ المجهود العلمي في مصر والشرق وخدمة التراث ورعاية الثقافة الدينية وإمدادها بالمؤلفات والبحوث، أنظر عبد المنعم خفاجي، ج 3، مرجع سابق، ص 254-255.

[2]- سيد بن حسين العفاني، زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين، ج 1، دار العفاني، ص 494.

[3]- نفسه، ص 495

[4]- لواء الإسلام: صدرت مجلة جامع الأزهر تحمل اسم لواء الإسلام وأسندت إدارتها إلى السيد عبد العزيز وأسندت رئاسة تحريرها إلى صديقه الشيخ محمد الخضر حسين أحد علماء الأزهر وهي مجلة دينية علمته أخلاقية تاريخه وكان ذلك عام 1930/1349 وأهم أهدافها هي إظهار حقائق الإسلام ناصعة جلية بعيدة عن كل ليس، ونشر آدابه، ودفع الشبهات عنه. أنظر: علي النجار ، "كلمة في تأبين الشيخ محمد الخضر حسين في المجمع اللغوي"،عن مجلة لواء الإسلام، م01،ج1، القاهرة، ص 05.

على عمله أجرا وظل مثابرا على الكتابة وظل ماضيا في طريقه إلى الدعوة والجهاد الفكري على الرغم مما آل إليه جسمه من الضعف و الحاجة إلى الراحة و السكون ولكنه كما قلت لم يكن الفرق بين ألم روحه التي فيجسمه وألم الروح الإسلامية في هذه الأرض لقد كان عليه لكن يستريح أن يرى المجتمع الإسلامي من حوله سعيدا هادئا مستقيما[1].

وفي مساء الأحد 13 من رجب سنة 1377هـ/22 فبراير 1958 وخلاصة ما يقال فيه ما ذكره الشيخ محمد النجار عضو مجمع البحوث يوم تأبينه "" إن الشيخ اجتمع فيه من الفضائل ما لم يجتمع في غيره إلا في النادر فقد كان عالما ضليعا مع علمه بأحوال المجتمع لا يشد عن مقاصد الناس ومعاقد شؤونهم مع قوة الحجة وحسن الجدال عف اللسان و العلم ومات رحمه الله تعالى – وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئا مات وقد قدم لأخراه النصيب الأوفر من حياته بل كل حياته[2].

وقد مشى في موكب جنازته علماء الأزهر وأعيان الأمة و المتسببون إلى العلم، حتى بلغ النعش باب الخلق و الموكب يفصل فيما بينه وبين الأزهر، ودفن بجوار صديقه ، أحمد تيمور باشا" بوصية منه ، رضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جنانه[3].

بموت الإمام الجليل محمد الخضر حسين لم تخسر تونس فقط بل العالم العربي وأوساط الفكر العلمي الذي كان الفقيد من رجاله الممتازين[4]، وقد ترك الفذ من جليل الأعمال و المؤلفات الفكرية والآثار العلمية الكثير ، الكثير مما أغنى المكتبة العربية و الإسلامية و بالتالي حضارة هذه الأمة بكنوز لا تفنى وموارد لا تنضب[5].

---

[1]– محمد سعيد رمضان البوطي،المرجع السابق،ص314.

[2]–– نفسه،ص315.

[3]– عبد المنعم الخفاجي، المرجع نفسه، ص ص 259–260.

[4]– علي الرضا الحسيني، محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر، ط 1، دار النوادر، دمشق، 2010م، ص 120.

[5]– علي الرضا الحسيني، ملتقى الإمام محمد الخضر ...، مرجع سابق، ص 197.

الفصل الثالث

الآثار الفكرية والعلمية لمحمد الخضر حسين

- المبحث الأول: محاضراته

أ- الحرية في الاسلام

ب- علماء الاسلام في الأندلس

ت- العظمة

- المبحث الثاني: مقالاته

أ- السعادة العظمى

ب- الهداية الاسلامية

ت- رسائل الاصلاح

ث- بلاغة القرآن

- المبحث الثالث: مؤلفاته

تمهيد:

يحلو لكثير من النقاد أن يصنف المؤلفين لطبقتين: طبقة العلماء وهم أرباب البحوث العلمية في الفقه والتشريع والعلوم اللسانية من نحو وبلاغة وتصريف وطبقة الأدباء وهم أصحاب الآثار الفنية من نثر بارع الصوغ الصادق العاطفة، وشعر رائع المعنى دقيق التصوير فإذا نظم العالم شعر أو ألف الأديب مصنفا عالميا، فقد سلك التكلف والافتعال ويعتبر السيد محمد الخضر حسين أحد هؤلاء دون جدال فالرجل قاض فقيه يكتب في الأصول والتشريع، والتاريخ كتابة المتعمق الدقيق، وقد كان يدرس لطلاب كلية أصول الدين أبوابا من السياسة الشرعية، يغوص فيها مغاص الأصولي الجدلي المتكلم النظار ثم هو صاحب رسائل أدبية ومقالات تحليلية وديوان شعري تجعله في طليعة أرباب الفن الرفيع[1].

[1]– محمد رجب البيومي مهران: المرجع السابق، ص 52.

المبحث الأول: محاضراته

أ-الحرية في الإسلام:

تعتبر من أمهات المحاضرات الإسلامية وأوائلها التي ألقاها الإمام الأكبر في مطلع حياته الدينية، والسياسية، ينادي جمعية قدماء تلامذة الصادقية[1] مساء يوم السبت 17 ربيع الثاني 1324، وهو يومئذ قاض ببنزرت، المطبعة الأولى التونسية سنة 1909 وطبعة ثانية بالأوفيست، تونس سنة 1927[2].

وتعد محاضرة الحرية في الإسلام من الوثائق الأثرية والتاريخية التونسية العمامة، فقد ألقيت في عهد الحماية الفرنسية، وفي أوج غطرستها وشراستها تلك الحماية الرهيبة التي كانت تعبر تونس قطعة أرض ملحقة بفرنسا وتكمم الأفواه عن النطق بالأحاديث المعتادة فكيف الحال بصوت داو يتحدث عن الحرية في آذان شعب مضطهد؟[3]

تناقلت الأيدي المحاضرة من بيت إلى بيت، ومن معهد إلى معهد يهمس بها المواطن التونسي إلى أخيه، فينتشر شعاعها في القلوب المؤمنة بحرية التراب التونسي، حفظه الله، وكان الإمام رحمه الله عندما ألقى هذه المحاضرة أحدثت أثرا عميقا في المجتمع التونسي، مازال يفعله فعله في الأوساط الشعبية كالنار في الهشم وكانت صوتا من أصوات النضال التونسي السائرة في الطريق إلى الحرية[4].

---

[1]-جمعية تلامذة الصادقية: من أقدم الجمعيات التي تأسست في البلاد التونسية، و كان ذلك عام 1905، ونشاطها ثقافي ووداي، تأسست في 03 ديسمبر 1905 ونشاطها في البداية ثقافيا يتم بالغة العربية بمشاركة عدد من مدرسي جامع الزيتونة من بينهم محمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الخضر حسين. انظر: محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص 104-105.

[2]- محمد الخضر حسين، محاضرات إسلامية، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 04.

[3]-نفسه، ص07.

[4]-نفسه، ص 08

وقد تحدث الإمام الأكبر في أول بحثه عن معاني كلمة"الحرية"، اللغوية والعامة، وهي العيش في عيشة راضية تحت ظل ثابت من الأمن على قرار مكين من الاطمئنان هذا إضافة إلى تعرضه إلى عاملين ترتكز عليهما الحرية وهما"الشورى و المساواة"[1].

وقام بتحليل كل منهما بالاعتماد على نظريات الشريعة الإسلامية وسيرة الرسول والخلفاء الراشدين،وقد تناولت مسيرته هذه العديد من المواضيع الهامة: "الحرية في الأموال"و "الحرية في الأعراض" و"الحرية في الدماء"، وفي ختام مسامرته قام الشيخ محمد الخضر حسين تبيان الآراء والنظريات المتعلقة بحالة البلاد التونسية في ذلك العهد،وما كانت تعانيه من فقدان للحرية، وما كان يشعر به الرجل والنخبة المثقفة الواعية من مرارة وكبت[2].

ب-علماء الإسلام في الأندلس:

لقد كان لعلماء الإسلام دور كبير في توجيه المجتمع وإرشاد ذوي السلطة ورعاية مصالح الدين،وتعاليمه، هذا الموضوع شغل محمد الخضر حسين وجعله يصب جل اهتمامه عليه وهذا ما نلمسه في كثير من البحوث والمقالات التي كتبها في المجلات والصحف،وقد أولى العلماء الأندلسيين على وجه الخصوص بعناية خاصة واهتمام فريد من نوعه[3] ، وقد ألقى الإمام محاضرته "علماء الإسلام في الأندلس"، في نادي جمعية الشبان المسلمين، باسم جمعية الهداية الإسلامية،مساء يوم الأربعاء20ذي الحجة1927/1346، وأردفها بخطبته في موضوع(لماذا نحتفل بذكرى الهجرة النبوية؟) ألقاها في النادي نفسه في غزة محرم1347 طبعت بالمطبعة السلفية1928/1357[4].

---

[1]-محمد الخضر حسين، الحرية في الإسلام، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص11.

[2]- نفسه، ص59.

[3]- محمد الخضر حسين، "اثر الرحلة في الحياة العلمية"، عن مجلة الهداية الإسلامية، م10، ج2، ص65.

[4]- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص135

وقد كان الموضوع القار في المحاضرة هو:سبب نهضة العلوم الإسلامية بالأندلس هذا إضافة إلى مواضيع أخرى كانت في مجريات المحاضرة مثل: مظاهر رعاية الأمراء للعلم ورجاله،وهذا من حيث مشورتهم وتنظيم المجالس العلمية والأدبية التي يحضرها كبار[1] رجال الدولة، وكذلك قام الإمام بالإشادة بعلماء البلاد الأندلسية، وخاصة في التفسير والحديث، والفقه، فكانوا في مقدمة من حاربوا الآراء الفاسدة في تأويل القرآن[2] .

وقد كان المحاضر أبدى اهتماما خاصا بشعور عدد من العلماء الأندلسيين ولمكانتهم العلمية، وبرسالتهم في المجتمع الإسلامي.ولم يقتصر هؤلاء العلماء المصلحون على القيام بهذا الواجب الإسلامي بل تجاوزوه إلى المساهمة في حماية البلاد فرابطوا في الثغور وشهدوا مواقع القتال، واستشهدوا في المعارك دفاعا عن الإسلام والأندلس.وقد أثنى المحاضر الإمام الجليل على جهود هؤلاء العلماء في الميادين العلمية والسياسية والاجتماعية يقتدي بهم علماء في علماء الإسلام المعاصرون والشبان الناهضون للحفاظ على الدين من الانحراف وعلى الأمة الإسلامية من التدهور[3].

ج- العظمة:

ألقى الشيخ محمد الخضر حسين محاضرة عنوانها"العظمة"، في نادي جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة للرد على الشيخ علي عبد الرزاق الذي كتب مقالا أشار فيه أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن عظيما حسب المفهوم المتعارف لأنه لم يكن ملكا ولا غنيا ولا مخترعا، وكان ذلك يوم الجمعة 26ربيع الثاني من نفس السنة

[1]–محمد الخضر حسين، علماء الإسلام في الأندلس، القاهرة، 1928، ص12.
[2]- نفسه، ص 12.
[3]-نفسه ، ص 22-23 .

سنة1928م، وطبعت هذه المحاضرة بالمطبعة السلفية في28صفحة في نفس المدة أيضا[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الخصومة التي نشبت بين الرجلين حول موضوع الخلافة الإسلامية سنة1925، لم تنطق نارها بعد ولذلك نجد المحاضر يستعمل نفس الأسلوب الذي استعمله للرد على بحث الدكتور طه حسين، الذي ألقاه في مؤتمر المستشرقين[2] حول "ضمير الغائب في القرآن، حيث يقول في ابتداء المحاضرة.تنسى ولا تنسى كاتبا صنع في العظمة مقالا لا أضعه في مقامي هذا إلا بأنه من البقر الذين جلسوا على الفتنة التي لايجب أن يصرف النظر عنها حتى لا تضر بالشباب و تهوي بهم في هاوية الغاوية و الضلال[3] .

ثم التحدث عن معاني العظمة وما يراد منها عامة، وخاصة بالنسبة إلى الرسول "صلى الله عليه وسلم"،معتمدا على أقوال بعض الكتاب الغربيين في عظمة النبي "صلى الله عليه وسلم" ومذكرا بنظرة المسلمين إليه وإجلالهم له، وقد حضر نقاشه لمقال الشيخ عبد الرزاق في موضوعين:في **الأول** منهما تعرض إلى مظاهر عظمة الرسول "صلى الله عليه وسلم"، ضمن الحديث عن مظاهر العظمة في ميادين مختلفو مثل اللصوصية، أما الموضوع الثاني: فهو اقتصار عظمة النبي" صلى الله عليه وسلم" على كلمة" لا اله إلا الله"، إذ يعتبر المحاضر أن هذه العظمة تتمثل بالإضافة إلى ذلك في علم

[1]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 155.

[2]–مؤتمر المستشرقين: تأسست في اروبا منظمة الاتحاد الدولي للمستشرقين وعقدت أول مؤتمر لها في باريس عام 1873م، وتوالى عقد هذه المؤتمرات في أنحاء العالم وخاصة في القارة الأوروبية، وعقدت هذه المؤتمرات في دول عربية إسلامية أثناء الاحتلال الأوروبي، كما عقد المؤتمر الرابع والثلاثين بهونج كونج. انظر: فؤاد افرام البستاني مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي والعشرون في المشرق، ج1، مكتبة الوعي، 1952، ص 481–500.

[3]–محمد مواعدة، مرجع سابق، ص156.

" محمد صلى الله عليه وسلم" وخلقه، وإخلاصه، وحسن بيانه [1].

المبحث الثاني : مقالاته.

لقد جمع عدد من المقالات الاجتماعية .و الدينية و الأخلاقية في كتب صدر البعض منها في حياة الرجل .و صدر البعض الأخر بعد وفاته .و قام بطبعها ابن أخيه السيد علي رضا التونسي المحامي بالعاصمة السورية.

ا-السعادة العظمى :

صدر العدد الأول من هذه المجلة العربية* الأولى بتونس في شهر محرم سنة1322هـ/ 1904م، وكانت تبرز في أول نصف كل شهر عربي، وكان يتم طبعها في المطبعة التونسية المتواجدة بسوق البلاط بالعاصمة وكان مقر إقامتها قرب نهج القصبة،يرجع سبب تكوين هذه المجلة إلى شعور الفئة المحافظة في تونس بضرورة وجود لسان يعبر عن نظرياتهم، ويدافع عن أفكارهم، كما كانت مجلة المنار[2] بالمسبة إلى الحركة الإصلاحية في جميع البلدان الإسلامية[3].

ولكن الظروف التي واكبت صدور العدد الأول منها أثبتت أنها لم تكن فقط لسان للمحافظين، وذلك أن البعض منهم قد أنكر على صاحبها قوله: ودعوى أن باب الاجتهاد

---

[1]-نفسه، ص 157.

*-انظر الملحق رقم 02:غلاف مجلة السعادة العظمى.

[2]- **مجلة المنار**: صدر العدد الأول منها عام1897م، بالقاهرة من طرف رشيد رضا، وهي تعد منبرا للدعوة إلى الإصلاح وفقا لمبادئ محمد عبده، وقد استمر على إصدارها بانتظام حتى وفاته سنة1935، وكانت هذه المجلة تنشر الأحبار التي كانت تأتيه من أطراف العالم الإسلامي وآراءه في سياسات العالم وشروحه الكبرى للقرآن، والتي سماها تفسير المنار. أنظر: كريم عزقول، الفكر العربي في عصر النهضة، دار **النهار، 1798-1939**، ص ،272 - 273.

[3]-محمد الخضر حسين،" مقدمة مجلة السعادة العظمى،" عن مجلة السعادة العظمى ،العدد 1-2، تونس، 1904، ص 11.

مغلق لا تسمح إلا بدليل ينسخ الأدلة التي انفتح بها أولا .وطلبوا من الوزير بوعتور[1] توفيقها عن الصدور، فعارض شكواهم قائلا: أن ما تنشره المجلة لا يعارض الشرع ولا القانون، وقد تم تشجيع هذا العمل العلمي، فله من العلماء المنتمين إلى الحركة الإصلاحية وعلى رأسهم سالم بوحاجب[2].

استمر صدور المجلة إلى غاية شهر جانفي سنة1905، بعدها انقطع وبلغ عددها21 عددا تشمل336صفحة من الحجم(16-25)، ويرجع سبب هذا الانقطاع الشيخ محمد الخضر بنزرت حيث ترأس خطة القضاء هناك[3].وقد حدد الشيخ محمد الخضر محتوى مجلة "السعادة العظمة " في العدد الأول الذي حرر صفحاته وتحتوي ستة أغراض وهي كالآتي:

1-المقالة الافتتاحية التي تناول بعض المواضيع الهامة التي تقتضيها المحافظة على حياة مجدنا القديم.

2- المباحث العلمية.

3- الآداب ونشر في هذا الباب ما يكون مرقاة للتقدم في صناعتي الشعر، والكتابة.

4- الأخلاق ويبحث فيه "كيف ينحرف مزاجها وبماذا يستقيم اعوجاجها.

5- الأسئلة والاقتراحات.

---

[1]-الوزير بوعتور: محمد العزيز بن محمد بوعتور، ولد سنة 1825و توفي في 04 فيفري 1907، وهو أول وزير اكبر لتونس في عهد الحماية والشيخ محمد الطاهر بن عاشور هو حفيده، وقد تقلد عدة مناصب هامة في الايالة التونسية قبل الحماية وبعدها. انظر: علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 16.

[2]-علي النجار ، كلمة في تأبين الشيخ محمد..،مقال سابق ،ص45.

[3]- أبو القاسم محمد كرو،" الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق" ، عن جريدة العمل، الملحق الثقافي، 21 فيفري 1969، ص 15.

6-مسائل شتى[1].

وتناول صاحب المجلة في الباب الأول عدة أبحاث أهمها ما يتصل بالشريعة الإسلامية وضرورة لتقيد بها، هذا إضافة إلى كتابة لمقالات تهدف إلى دعوة المسلمين إلى الاتحاد والتعاون والابتعاد عن الكسل والجمود وما يقوله في هذا السياق "فعجب ما تخيله بعض من ربى في معهد الجمود من أهداف الدين القيم لم يرشد إخوانه إلا إني العبادات المحصنة وأنه حجاب مسدول بينهم وبين المدينة[2]،وقد كتب في هذه المجلة أبرز وأهم شيوخ جامع الزيتونة نخص بالذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[3] صديق الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمد النجار المفتي المالكي وآخرون[4].

ولئن قوبلت المجلة بالترحاب وملأت فراغا كبيرا في ميدان الثقافة الإسلامية في تونس فإنها كانت وخزا للمستعمر الفرنسي الذي دأب منذ صدورها على محاربتها وملاحقة صاحبها ومضايقته بشتى الطرق، حتى تم له إغلاقها ولم يمض على صدورها وقت طويل وكان عددها الأخير يحمل عدد 21 غرة ذي القعدة 1322هـ[5] .

أ- الهداية الإسلامية:

إن أوسع ميدان من الميادين الإسلامية العديدة التي خاض عمارها فضيلة الأكبر المصطلح المجاهد المرحوم، محمد الخضر حسين، رضوان الله عليه، هو ميدان

---

[1]- محمد الخضر حسين ، مقدمة مجلة السعادة العظمى ،مقال سابق ، ص 3.

[2]- **نفسه** ، ص 64.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور: (1879-1973) هو الرجل والقاضي، والعلامة بذل الشيخ الطاهر بن عاشور كل ما في وسعه لإصلاح التعليم الزيتوني وتطويره وتنشيط الدروس في كافة الفروع الزيتونة المنتشرة داخل البلاد، وله العديد من المؤلفات من كتب الأدب والتفسير والفلسفة وعلم الاجتماع وتوفي سنة 1973. أنظر صادق الزمرلي، أعلام تونسيين، مرجع سابق، ص 362-366.

[4]- محمد الخضر حسين ،مقدمة السعادة العظمى ،مقال سابق، ص 103.

[5]- نفسه، ص 05.

*-انظر الملحق رقم 05:الخضر مع علماء جمعية الهداية الاسلامية.

مجلة "الهداية الإسلامية" تلك المجلة الخالدة التي غداها بعلمه النافع الغزير وعمله الخالص الجاد طيلة مرحلة من عمره الطاهر امتدت ثلاثة وعشرين عاما أو يزيد.

كانت مجلة "الهداية الإسلامية"* قد صدر العدد الأول منها في جمادي الثانية من عام 1347هـ بالقاهرة وتابعت صدورها ما يزيد على ثلاث وعشرين سنة برئاسة الإمام وإشرافه العلمي وتوجيهه القيم وتعتبر هذه المجلة هي الناطقة باسم "جمعية الهداية الإسلامية" التي أنشأها الإمام الأكبر مع جمهرة من كبار العلماء المسلمين بالقاهرة وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر رجب لعام 1346هـ، الموافق ل06 يناير " كانون الثاني من عام 1928م[1]، فقد أولاها كل جهده ووقته، وانصرف إليها نهاره وليله حتى كانت الجمعية مع مجلتها طعامه وشرابه ومنامه[2].

وقد رسم للجمعية سبيلا لتحقيق أهدافها بإتباع الوسائل التالية:

1-السعي لتعارف الشعوب الإسلامية، وتوثيق الرابطة بينهما ورفع التجافي بين الفرق الإسلامية، والتعاون مع كل جمعية تسعى لهذه الغاية.

2-نشر حقائق الإسلام بأسلوب يلاءم روح العصر.

3-مقاومة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية، في الأوطان الإسلامية بالطرق العلمية.

4-الجهاد في إصلاح شأن اللغة العربية وإحياء آدابها.

وقد نهجت مجلة الهداية الإسلامية وفق هذه الأسس، وكان القارئ المسلم قد تلقى مجلة "الهداية الإسلامية" وهو أشد ما يكون حاجة إلى مجلة العقول ويقوم اللسان وتسير على الأدب الموصى به. فكانت صوت حق وهدى في العالم الإسلامي، ومازالت

[1]- محمد الخضر حسين، الهداية الإسلامية ،ط1، دار النوادر، دمشق، 1431هـ - 2010م، ص 03.
[2]- نفسه، ص 04 .

مجموعتها مرجعا إسلاميا للعلماء والباحثين والأدباء،[1]وقد جعلنا مقدمة هذا الكتاب فاتحة المجلة التي افتتح بها الإمام العدد الأول من مجلة "الهداية الإسلامية" والتي أوضح فيها النهج والطريق[2] .

ج-رسائل الإصلاح:

يعد كتاب رسائل الإصلاح ثمرة من ثمرات الجهاد العلمي الطويل والشاق وكان بذل فيه الإمام محمد الخضر حسين الكثير من الوقت، والعمل، وخطة بحسن أسلوبه وغزارة مادته، ودقة تحقيقه، وسعة اطلاعه، وسلاسة عبارته وبلاغة بيانه وتبيانه حتى كان كل مقال فيه كتاب قائم بذاته صيغ بموجز من الكلمات في صفحات ومثله كمصباح يستضاء به في ظلمات الحياة،[3] و كان لهذا الأثر القيم مكانة خاصة وشهرة لدى الفقهاء والأدباء ورجال الثقافة وأصحاب القلم وكثيرا ما يشار إليه في المصادر والمراجع على أنه من أهم الكتب التي تضمنت مقالات الإمام الشرعية والأحوال الاجتماعية و صدر الكتاب في حياته المباركة في ثلاثة أجزاء متوسطة الحجم وهي كالآتي:

***الجزء الأول:** التعليم الديني في مدارس الحكومة إلى كتاب الدعوة إلى الإصلاح.

- التعاون في الإسلام كتاب "هدى النور"

- الحلم وأثره في سعادة الحياة.

***الجزء الثاني:**

-التصوف إلى كتاب الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

---

[1]- نفسه ،ص05

[2]-نفسه، ص06 .

[3]-محمد الخضر حسين، رسائل الإصلاح ،ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 03.

-العلماء وأولو انتشار الإسلام في العالم وعوامل ذلك إلى كتاب "الدعوة إلى الإصلاح".

- أديان العرب قبل الإسلام قضاء البعثة المحمدية على المزاعم الباطلة، محمد رسول الله و خاتم النبيين.

- الصداقة إلى كتاب محاضرات إسلامية.

- قوة التخيل إلى كتاب "الخيال في الشعر العربي .

- الاستشهاد بالحديث في اللغة إلى كتاب "دراسات في اللغة".

- أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية إلى كتاب الرحلات[1].

***الجزء الثالث:**

مقاصد الإسلام في إصلاح العالم انتشار الإسلام في العالم إلى كتاب الدعوة إلى الإصلاح.-الدين والفلسفة والمعجزات إلى كتاب "الهداية الإسلامية"[2].

د/بلاغة القرآن:

يعتبر هذا الكتاب نتاج جهد وبحث علمي مطول خاضه الإمام الأكبر محمد الخضر حسين، كان صدور هذا الكتاب سنة 1971م، ويحتوي على 220 صفحة تشمل على 20 مقالة وبحثا تتصل بالقرآن يمكن تقسيما إلى ثلاثة أصناف: منها ما يتحدث عن كتاب الله من حيث بيانه ولغته، ومنها ما يتحدث عن قيمته الأدبية، أما الصنف الثالث هي المقالات فهو مجوعة ردود على بعض الكتاب الذين أساؤوا المقصد الأصلي الذي جاءت به الشريعة الإسلامية وهذا كان بإساءتهم لتفسير القرآن وبالغوا فيه، حسب رأي الشيخ محمد الخضر، وتجدر الإشارة إلى أن أغلب مقالات هذا الكتاب قد كتبت ردا على

[1]- محمد الخضر حسين، رسائل الإصلاح...، المصدر السابق، ص 05.

[2]- نفسه، ص06 .

بعض الكتب والبحوث التي صدرت في ذلك العهد وسنتعرض إلى مقالين منها لهما أهمية خاصة سواء من حيث الموضوع أو من حيث كاتبه[1].

أما المقال الأول فهو "حقيقة ضمير الغائب في القرآن ونقد فيه البحث المقدم من طرف الكاتب طه حسين، الذي تعرض فيه إلى الحالات الاستثنائية الواردة في القرآن الكريم مع الاستشهاد ببعض الآيات وأقوال المفسرين وختم بحثه بنتيجتين هما: النحو العربي القديم لا يعين على تفسير القرآن لما فيه من تصنيف وعدم وضوح، ودعوته إلى ضرورته تجديد النحو والمزيد من أحكام قواعده وضبطها[2].

ونفذ محمد الخضر حسين هذا البحث، مبينا خطأ طه حسين من الناحية اللغوية أو النحوية، وتعرض إلى النتيجتين اللتين أتى بهما طه حسين في بحثه قائلا عنهما بأن علماء وفقهاء اللغة لا يوافقون عليهما وهذا لاعتقادهم أن النحو العربي يعين على تفسير القرآن، وقواعده تستجيب لحاجات اللغة وضروراتها[3].

أما المقال الثاني فهو المقال الذي نقد فيه كتاب يلحد في آيات الله، وتعرض للأحد رواد النهضة الاجتماعية بتونس المرحوم الطاهر حداد[4]، وتعرض فيه إلى نقد هذا الرائد وهذا من خلال معارضته في بعض القضايا التي تتصل بالدين الإسلامي مثل: الميراث، وتعداد الزوجات وكذلك عدم اعتماده في تأويله للآيات القرآنية على قواعد لتفسير المتبعة عند العلماء المسلمين خاصة[5].

---

[1]– محمد مواعدة، مرجع سابق، ص 146.

[2]– محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن الكريم، دار النوادر، دمشق، 2010م، ص 64.

[3]– نفسه، ص 89.

[4]–الطاهر حداد: (1317–1354)(1901–1935) هو الطاهر بن علي بن بلقاسم الحداد الكاتب الأديب الشاعر الصحفي، نصير المرأة، و احد مؤسسي الحركة النقابية الأولى أصله من فطناسة من قرى حامة قاس، مولده ونشأته بالعاصمة وهو ينحدر من أسرة عمالية فقيرة. انظر: محمد محفوظ، ج2، مرجع سابق، ص 109.

[5]– محمد الخضر حسين، بلاغة...، مصدر سابق،ص132.

وعليه إن هذا الكتاب أي كتاب "بلاغة القرآن" يبين لدراسة نظريات الشيخ محمد الخضر حسين المحافظة في قضايا ومسائل الدين واللغة مما جعله حاد الأسلوب شديد اللهجة، عنيف الرد عند نقده لمن يمس الدين الإسلامي[1].

المبحث الثالث: مؤلفاته .

1/دراسات في الشريعة الإسلامية: هذا الكتاب يندرج ضمن المجموعة القيمة لمؤلفات الإمام الأكبر العلامة المرحوم محمد الخضر حسين، وهو مجموعة المقالات التي خطتها براعته الصادقة في مجلة (لواء الإسلام) والذي كان رئيس لتحريرها منذ أن صدر العدد الأول من شهر رمضان لعام 1366هـ هـ الموافق ل19 يوليو 1948 بالقاهرة[2].

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الفصول والدراسات والمحاضرات منها:

الله موجود، والأحكام العادلة وكيف تستنبط القواعد من الكتاب والسنة، والحديث الصحيح، حجة في الدين مناقشا بهذا الفصل القضية التي عرفت بعد ذلك بعنوان حجيه السنة "وحكمه الإسلام في العزائم والرخص، وموقف الإسلام من الرؤيا وتأويلها[3].

2/محاضرات إسلامية: محاضرات إسلامية أثر عظيم، فوائد محاضرات قيمة ألقاها الشيخ من منابر الخطابة في العديد من الجمعيات الإسلامية، سواء في تونس أو القاهرة وهذه المحاضرات منها ما نشر في رسائل صغيرة مطبوعة ومنها ما نشر في المجلتين

[1]– نفسه، ص133.

[2]– محمد الخضر حسين، دراسات في الشريعة الإسلامية، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 04.

[3]- محمد الجوادي، مرجع سابق، ص 58.

الإسلاميتين الكبيرتين مجلة نور الإسلام[1] والتي تعرف اليوم باسم مجلة الأزهر ومجلة الهداية الإسلامية التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة،وفاتحة هذه المحاضرات "الحرية في الإسلام" من أمهات المحاضرات الإسلامية وأوائلها التي ألقاها الإمام الأكبر في مطلع حياته الدينية والسياسية ألقاها بنادي جمعية قدماء تلامذة الصادقية في تونس[2]. يتضمن هذا الكتاب مجموعة من المحضرات عن بعض القضايا الإسلامية والتاريخية والفلسفية المهمة ومنها:التصوف في القديم والحديث وعلماء الإسلام في الأندلس واختلاط الجنسين في نظر الإسلام، وتعاون العقل والعاطفة على الخير، والصداقة مضار الإسراف والدهاء في السياسة والمعتزلة، وأهل السنة والحرية في الإسلام[3] .

3- الدعوة إلى الإصلاح:

طبعت رسالة الدعوة إلى الإصلاح للمرة الأولى عام1346هـ، وكان لها شأن عظيم لما احتوته من أسس يعتمدها أي مصلح يبادر لحل عبئ الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ضممت إلى الرسالة المقالات والمحاضرات في كتاب يحمل عنوان الرسالة "الدعوة إلى الإصلاح"، وألحقت بها مذكرات هامة وجهها الإمام إلى الحكومة المصرية في طلب العناية بالتعليم الديني والتربية الدينية بالمدارس المصرية وسيجد القارئ في هذه المذكرات ما يصلح للأخذ بهاو في كل زمان ومكان نظرا للمبادئ الواضحة التي قررها الإمام الأكبر –رضوان الله عليه–[4].

---

[1]–نور الإسلام: صدرت هذه المجلة في محرم سنة 1349هـ جوان 1930، أما الأبواب التي تحتويها المجلة فهي تشبه إلى حد كبير أبواب مجلة الهداية الإسلامية، و في سنة 1935 أسندت مسؤولية الأشراف على مجلة نور الإسلام إلى السيد محمد فريد وجدي، وفي منتصف سنة 1374هـ/1955م أصبح اسمها مجلة الأزهر. انظر: محمد مواعدة مرجع سابق، ص105.

[2]– محمد الخضر حسين، محاضرات إسلامية ، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 04.

[3]– محمد جوادي، مرجع سابق، ص60

[4]– محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 40.

كتاب الدعوة إلى الإصلاح يمكن القول أنه حسب تعبيراتنا العصرية كتاب مبكر في فقه الدعوة والمجتمع المدني في ظل الإسلام، ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من الفصول منها الحاجة إلى الدعوة، الدعوة في نظر الإسلام، والمبادرة إلى الدعوة والإخلاص في الدعوة، وسياسة الدعوة كما يتناول كتاب الدعوة إلى الإصلاح مجموعة مقالات تتعلق بموضوعين مهمين ،حيث تتعلق المجموعة الأولى منها بالتعليم الديني وفيها يعرض آراءه من خلال مجموعة من المقالات منها إصلاح المعاهد الدينية والدكتور طه حسين، والتعليم الديني في مدارس الحكومة ومذكرات للعناية بالتعليم الديني وأثر الدين في إصلاح الاجتماع، ويعرض في المجموعة الأخرى لدور العلماء مكانة الأزهر وأثره في حفظ الدين ورقي الشرق في حياة الأمة، وللدعوة إلى الإصلاح وحالة الأمة في هذا العصر، وشجاعة العلماء وإنصاف الأمراء، ويقدم أحد الفصول عن مثل أعلى لشجاعة العلماء واستهانتهم بالموت في سبيل الحق[1].

4- تراجم الرجال:

فيه مجموعة دراسات رصينة لأربعة عشر(14) من أعلام المسلمين على مدى تاريخ الإسلام الممتد، وقد جمعت في هذا الكتاب دراسات الخضر حسين المتفرقة عن هؤلاء الأعلام، ومطالعتنا لأسماء وحدها تكفل أن تكون صورة عن سعة أفق هذا العالم العظيم، وعدم تعصبه لأي نوع من العصبيات التي سيطرت على أغلب كتاب التاريخ الإسلامي، فهو يكتب عن ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان[2] وفي الوقت

[1]- محمد الجوادي، مرجع سابق، ص61.

[2]-عثمان بن عفان: ثالث الخلفاء الراشدين واحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام، يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنين من بنات نبي الإسلام محمد -رقية وأم كلثوم-.كان عثمان أول من هاجر إلى ارض الحبشة لحفظ الإسلام، ثم تتبعه سائر المهاجرين إلى ارض الحبشة، اغتيل سنة 35هـ وعمره اثنتان و ثمانون سنة ودفن في البقيع بالمدينة المنورة. انظر: بشار غوار معروف، **تاريخ** الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط1، مج، 04، دار الغرب الإسلامي 2003، ص923.

ذاته عن ثلاثة من أئمة الشيعة هم: زين العابدين، محمد الباقر، وزيد بن علي ،وكذلك نراه يكتب عن موسى بن نصير[1]، وفي الوقت ذاته يكتب عن صقر قريش، فهو يتناول حياة أربعة(04) من الآباء المؤسسين للفكر الإسلامي، وفي الفقه والحديث والفلسفة وهو الإمام مالك بن أنس[2]، أبي داود صاحب السنن، وفي الوقت ذاته يستغرق حياة أبي الحسن الأشعري وفكره وفلسفته، بالإضافة إلى هؤلاء يكتب عن حجة الإسلام الإمام الغزالي[3].

والهدف من التراجم: أن تكون قدوة للحاكم والمواطن المسلم، ومنارا وهديا لكل من ينشد حياة ملؤها العزة والسعادة ,وقد رتبت الأبحاث في هذا الكتاب وفق التسلسل التاريخي واعتمدنا في ذلك تواريخ الولادة دون النظر إلى تاريخ نشر المقال أو الإلقاء المحاضرة[4].

5- أسرار التنزيل:

قام المؤلف بتفسير القسم الأكبر من سورة البقرة، حتى الآية195، بالإضافة إلى سورة الفاتحة، وبتفسير آيات قرآنية كريمة من سور مختلفة، فهي آية من سورة آل عمران،

[1]-موسى بن نصير: قائد عسكري في عصر الدولة الأموية، شارك في فتح قبرص في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ثم أصبح واليا على افريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ،أمر بفتح شبه الجزيرة الإيبيرية وهو الفتح الذي اسقط حكم مملكة القوط في إسبانيا. انظر: الزركلي، المصدر سابق، ص 330.

[2]-مالك بن انس:(93هـ-179هـ) فقيه و محدث مسلم ،صاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي ،اشتهر بعلمه الغزير وقوة حفظه للحديث النبوي-كان معروفا بالصبر والذكاء والأخلاق الحسنة، ولد سنة 93هـ ونشا في بيت كان مشتغلا بعلم الحديث فحفظ القران في صدر حياته.من أهم أساتذته نجد عامر بن عبد الله بن الزبيري ، وإبن المنكدر.انظر،محمد بن احمد عثمان الذهبي ،سير أعلام النبلاء،ط1،مؤسسة الرسالة ،2001.ص50.

[3]- الإمام الغزالي:(450هـ-1111هـ)كان فقيها وأصوليا وفيلسوف، وكان صوفي الطريقة شافعي الفقه، عرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام، لقب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته أشهرها لقب-حجة الإسلام-وله أيضا ألقاب مثل: زين الدين، مفتي الأمة،ب ركة الأنام وشرف الأئمة. انظر: محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط1، دار المعرفة، لبنان، 2006، ص106.

[4]- محمد الخضر حسين، تراجم الرجال، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص03.

آيات من سورة الحج، آيات الصيام، ثلاث آيات من سورة الأنفال، أربع آيات من سورة يونس، خمس آيات من صورة [1].

يمكن القول أن كتاب أسرار التنزيل يتناول فيه تفسير لبعض آيات وسور القرآن الكريم بأسلوب يعتمد على معارف لغوية واسعة، وإدراكه لأسرار اللغة وأسرار التنزيل في الوقت نفسه، ويشمل الكتاب فصولا متتابعة في تفسير الفاتحة وتفسير سورة البقرة[2] .

6-دراسات في اللغة :

للعلامة المرحوم محمد الخضر حسين دراسات لغوية قيمة أنشأتها منذ مطلع حياته العلمية في تونس، وحتى أواخر أيام جهاده الإسلامي الطويل وبصفته عضوا في مجمع اللغة العربية القاهرة، وقد سبق أن صممت بعض من تلك الدراسات في كتاب "دراسات في العربية وتاريخها"، وقدمته إلى قراء العربية، ولقد أتى بمجموعة أخرى ومتممة لتلك الأبحاث والاقتراحات والنقد تحت عنوان "دراسات في اللغة" [3].

يضم هذا الكتاب مجموعة من البحوث قدم أغلبها إلى مجمع اللغة العربية أو نشرت في مطبوعاته.*

ومن هذه البحوث الأمثال في اللغة العربية واللهجات العربية في هذا العصر، والمجاز[4] والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية، ومن وثق من علماء اللغة ومن طعن فيه،

---

[1]- محمد الخضر حسين، أسرار التنزيل، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 43.

[2]- محمد الجوادي، المرجع السابق، ص65.

[3]- محمد الخضر حسين، دراسات في اللغة، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 03.

*-انظر الملحق رقم 03:من خط يد الامام محمد الخضر حسين.

[4]-المجاز:المجاز هو الكلمة المستعملة قصدا في غير معناها الأصلي ،الملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي .انظر،السيد أحمد الهاشمي ،جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ط1، **مكتبة** الإيمان بالمنصورة،1999.ص242.

وشرح قرارات المجمع اللغوي والاحتجاج لها، وملاحظات على البحث المقتحم لمجمع اللغة العربية عن موقف العامية من اللغة الفصحى[1].

7-دراسات في العربية و تاريخها :

كتاب دراسات في اللغة العربية وتاريخها أول كتاب جمع وطبع للإمام، وكان الفاتحة لسبل الكتب الأخرى التي جمعت وصدرت .

إن في كتاب دراسات العربية وتاريخها صفحات من العطاء العلمي وثمرات من الفكر المبدع للإمام محمد الخضر حسين[2].

يتضمن الكتاب بحوث أخرى قدمها وألقاها في المجمع اللغوي، ومنها القياس في اللغة العربية، وحياة اللغة العربية والاستشهاد بالحديث في اللغة وموضوع علم النحو والتضمين، وتسير وضع لمصطلحات وتبسيط قواعد النحو والصرف والامتناع بما يتوقف تأنيثه على السماع و نلاحظ أن له فصلا أخر بعنوان الألفاظ المؤنثة عن طريق السماع في كتابه دراسات في اللغة .وهذه قائمة البحوث والمقالات التي ألقاها الشيخ محمد الخضر في مجمع اللغة العربية أو نشرها:

- المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية.
- شرح قرارات المجمع والاحتجاج لها تكملة مادة لغوية ورد بعضها في المجمعات ولم ترد بقيتها.
- الاستشهاد بالحديث في اللغة.
- وصف جمع العاقل بصفة فعلا.
- اسم المصدر في المعاجم.

[1]- محمد الجوادي، مرجع سابق، ص65.

[2]- محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، ط1، دار النوادر،دمشق، 2010، ص.4

- الشعر البديع في نظر العلماء[1].

8 - الخيال في الشعر العربي:

في هذا الكتاب ضمت الدراسات الأدبية التي وضعها الإمام في مختلف فنون الأدب والعنوان" الخيال في الشعر العربي"، وهو عنوان البحث الأول والأصول والأقدم في هذا الكتاب، لاسيما أن بحث الخيال في الشعر العربي قد طبع برسالة صغيرة، وقد عرفت هذه الرسالة لدى رجالات الأدب والعلم منذ مطلع حياة الشيخ رحمه الله[2].

يتضمن الكتاب مجموعة من الدراسات الأدبية الأصلية التي غنى فيها بإبراز الجمال في الشعر على نحو ما أحس به ذوقه الأصيل، ومن هذه الفصول الخيال في الشعر العربي، والشعر البديع في نظر الأدباء، واثر الشعر في الترويح عن النفس[3] وإثارة العواطف الشريفة، ونموذج من نقد الشعر، والشعر المصري في عهد الدولة الأيوبية[4]، ونظرة في شعر حسان بن ثابت[5]، والخطابة عند العرب ونشأة علم البلاغة[6].

---

[1]- محمد الجوادي، مرجع سابق، ص67.

[2]- محمد الخضر حسين، الخيال في الشعر العربي، ط1، دار النوادر، الكويت، سوريا، لبنان، 2010، ص.4

[3]-الترويح عن النفس: الترويح هو طريق للحياة الإنسانية، يتحقق بأداة أنشطة بدنية أو فنية أو عقلية تغاير نوع العمل، ويتم وفق الرغبة الحرة وتحقيق النفع الشخصي أو العام، ويذكر د.الخولي إن الترويج إدخال السرور على النفس وتجديد نشاطها بوسائل اللهو والترفيه المباحة. انظر: البسيوني، البدائل الإسلامية لمجلات الترويح المعاصرة،ص 22.

[4]-الدولة الأيوبية: هي دولة إسلامية نشأت في مصر، وامتدت لتشمل الشام والحجاز واليمن والنوبة، وبعض أجزاء المغرب العربي، يعتبر صلاح الدين يوسف بن أيوب هو مؤسس الدولة الأيوبية، وأعاد لمصر التبعية للدولة العباسية وأغلق مراكز الشيعة الفاطمية ونشر المذهب السني. انظر: محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 98.

[5]-حسان بن ثابت: شاعر عربي وصحابي، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة، كما كان معتبرا يفد على ملوك أل غسان في الشام قبل إسلامه،ثم اسلم وصار شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب بين عامي35هو40هـ. انظر، بشار غوار معروف ، المرجع السابق ،ص930.

[6]- محمد الجوادي، المرجع سابق، ص68.

9 – محمد رسول الله وخاتم النبيين:

يقول الإمام "طالع كتب التاريخ، عربية وغير عربية، وأمعن النظر في أحوال عظماء الرجال من مبدأ الخليفة إلى هذا اليوم فإنك لا تستطيع أن تضع يدك على اسم رجل من أولائك العظماء وتقص علينا سيرته ومزاياه وأعماله الجليلة حديثا يضاهي أو يدانى ما نحدثك به عن هذا الرسول العظيم.

مقالات وبحوث ومحاضرات في السيرة النبوية الكريمة كتبها و ألقاها الإمام في مناسبات ذكرى المولد النبوي الشريف، أو الهجرة النبوية المباركة جمعها وأعدها في هذا الكتاب تحت عنوان "محمد رسول الله وخاتم النبيين"، وهي إحدى الرسائل التي تضمنها الكتاب[1].

يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم،و هو الكتاب المسمى محمد رسول الله و خاتم النبيين .و فيه يعرض الشيخ محمد الخضر حسين لأديان العرب قبل الإسلام ثم يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن رفقته وحكمته البالغة في السياسة، وعن سيرته وعن صبره ومتانه عزمه، وعن شجاعته عليه الصلاة والسلام، ورجاحة عقله، وحكمة رأيه وعن البلاغة النبوية[2] وإبادته عليه الصلاة والسلام لأصنام ويقدم نظرة في دلائل النبوة كما يتحدث عن المعجزات الكونية والأسوة الحسنة[3].

[1]– محمد الخضر حسين، محمد رسول الله وخاتم النبيين، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010، ص 3.

[2]– محمد الجوادي، مرجع سابق، ص63.

[3]– نفسه، ص63.

10 – نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم:

اصدر الشيخ علي عبد الرزاق أحد علماء الأزهر كتاب"الإسلام وأصول الحكم" في شهر رمضان1343/ أفريل1925 ويحتوي هذا التأليف على103 صفحات تشمل 3كتب و9 أبواب، ويبحث في موضوع الخلافة في الإسلام وعلاقة الدين بأسلوب الحكم في العالم الإسلامي، وما ينبغي أن يكون عليه هذا الأسلوب في العصر الحديث ، وقد ذهب المؤلف إلى أن نظام الخلافة لم يمت إلى الدين الإسلامي بصلة إذا لم ينص عليه القرآن والسنة النبوية، كما أن وجوده في هذا العهد غير ضروري، وقد أثار هذا الكتاب ضجة لدى رجال الدين والسياسة، فوقع حجزه في الأسواق وأبعد صاحبه من جامع الأزهر ومن هيأة كبار العلماء[1] .

تناول هذا الكتاب نقض ما جاء في كتاب "الإسلام وأصول الحكم" مما يخالف المبادئ الإسلامية ويحذو عليها بطريقة تدل على رسوخ قدم الأستاذ محمد الخضر حسين في العلوم الإسلامية العربية.تعرض الكتاب للنقد والتفنيد لآراء الشيخ علي عبد الرزاق ويتضمن الكتاب مجموعة من الفصول المهمة التي تعتبر بمثابة فتح في تاريخ الفكر السياسي في الإسلام، وهي الخلافة والإسلام والخلافة وطبيعتها والخلافة من الوجهة الاجتماعية ونظام الحكم في عصر النبوة، والرسالة والحكم،والحكم والدين والدولة، والخلافة والحكومة في التاريخ والوحدة الدينية والعربية والدولة العربية والخلافة الإسلامية[2].

[1]– محمد مواعدة، مرجع سابق، ص163–164.

[2]– نفسه، ص60.

يعتبر كتاب" نقض الإسلام وأصول الحكم" أهم المراجع للرد على كتاب علي عبد الرزاق وإذا فرح الضالون المضلون بكتاب(الشيخ القاضي الشرعي) فقد فرح المؤمنون الصادقون بكتاب الإمام الصالح وشتان بين الضلال والهدى وبين الخير والشر[1].

11- نقض كتاب في الشعر الجاهلي:

ألف الدكتور طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي سنة1926 وهو يحتوي على ثلاثة أبواب وستة عشر فصل وقد أثار هذا الكتاب ضجة لدى المثقفين عامة ورجال الدين خاصة[2]، ولهذا الكتاب اثر خالد من الآثار الرائعة للإمام الأكبر محمد الخضر حسين، أزاح به ستارا من الزيف عن أنماط علمية وتاريخية.

لقد ألقى طه حسين (محاضرات في الشعر الجاهلي) على طلاب كلية الآداب في الجامعة المصرية بالقاهرة، ثم جمع تلك المحاضرات في كتاب بقع في مئة وثلاث وثمانين صفحة وأسماه(في الشعر الجاهلي) فأهاج به الرأي العام الإسلامي منذ اللحظة الأولى لصدوره، فتناوله العلماء والكتاب والأدباء في شتى الأقطار الإسلامية بالرد والتفنيد ووضعت عدة كتب في النقد وقدمت عدة بلاغات إلى النيابة العمومية في مصر ضد مؤلف الكتاب[3] .

إذ يعتبر هذا الكتاب بمثابة الرد على الدكتور طه حسين، بطريقة علمية دحضت كل آراء طه حسين تقريبا، وبنيت وجوه الخطأ والقصور فيها ، وقد رتب هذا الكتاب في مجموعة من الأبواب تناظر أبواب طه حسين المنقود أو المنقوض، وهذه الأبواب هي تمهيد مرآة الحياة الجاهلية في القرآن لا في الشعر الجاهلي، والشعر الجاهلي واللغة

[1]- محمد الخضر حسن، نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، ط1، دار النوادر، الكويت، لبنان، سوريا، 2010،ص6

[2]- محمد مواعدة، مرجع سابق، ص174.

[3]- محمد الخضر حسين، نقض كتاب ...، مصدر سابق، ص03.

والشعر الجاهلي واللهجات وأسباب انتحال الشعر والشعوبية[1] وانتحال الشعر والدين،وقد تناول الشيخ محمد الخضر حسين في بقية فصول الكتاب تصحيحا للرؤى التي قدمها طه حسين عن مجموعة الشعراء، وتناول في هذا الصدد كلا من امرئ القيس[2] .

وعبيد وعلقمة والمهلهل وعمرو بن كلثوم [3]،والحارث بن علزة وطرفة بن العبد[4].

بالرغم من توديع الإمام الخضر حسين العالم الدنيوي إلا أن أفكاره الإصلاحية و مؤلفاته و أعماله راسخة لا تزول فهي أفكار تجدد الأمل و توقظ الإيمان و تبشر بالمستقبل لوطن حر يدين بالإسلام.

---

[1]–الشعوبية: هي حركة ظهرت بوادرها في العصر الأموي، إلا إنها ظهرت للعيان في بدايات العصر العباسي، وهي حركة من يرون أن لا فضل للعرب على غيرهم من العجم، وقد تصل إلى حد تفضيل العجم على العرب والانتقاص منهم إن أقدم الكتب التي حملت إلينا اسم الشعوبية هو كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وإن أصل كلمة الشعوبية مشتقة من كلمة شعب وجمعها شعوب وهو الجيل من الناس، وهو أوسع من كلمة القبيلة، وكان الشعوبيون يتمسكون بهذه الآية من القرانقَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣، انظر: علي كاشف الغطاء، "الشعوبية **في السياسة والتاريخ** "، **عن** مجلة الاعتدال، بيروت،1363 **هـ** ، ص12.

[2]–امرئ القيس: هو إمرىء القيس ابن عمر وابن حجر ، وينتهي نسبه إلى كندا ،لقب بالملك الظليل ،وذوي القروح ترأس شعراء الجاهلية ، والمتقدم على أقرانه من أهل القريض فيها فاق الشعراء بابتكاره المعاني المستحسنة والتعابير البديعة ن والتشابيه اللطيفة عاش في النصف الأول من القرن الميلادي السادس .انظر، أبي عبد الله حسين بن احمد الزوزني ، المعلقات السبع ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 2004، ص13.

[3]–عمرو بن كلثوم:عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، شاعر جاهلي معمر يقال انه عاش 150 عاما، و كان سيد قومه في تغلب، وارتبط اسمه بالعظمة كما عرف بالشجاعة وعزة النفس، تجول في بلاد الجزيرة العربية والشام والعراق ونظم معلقته الشهيرة ويقال إنها تحتوي تقريبا على ألف بيت، و لكنها فلتت من بعض الرواة، تتميز معلقته بالعجب والفخر والعزة، كما يتصف شعره بالسهولة والوضوح و لبعد عن المنمقات وكانت وفاته في خواتم القرن السادس ميلادي.انظر، أبي عبد الله حسين بن أحمد، المرجع السابق ، ص158.

[4]– محمد الجوادي، مرجع سابق، ص67.

الخـــــاتـــــمة

الخاتمة

وفي الأخير توصلنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة إلى مجموعة من الاستنتاجات والنتائج وهي كالآتي:

- يعتبر محمد الخضر حسين علم من أعلام الفكر المغربي الإسلامي مكافحا وطنيا ومفتريا في سبيل الحفاظ على حرية الكلمة إذ يعتبر من الشخصيات الغدة والبارزة، والمؤمنة بضرورة التجديد نظرا للظروف التي شهدها أثناء فترة حياته.
- تأثره بأفكار الدعاة والمصلحين الجدد أمثال جمال الدين الأفغاني و تلميذه محمد عبدو المنادين بإصلاح المجتماعت الإسلامية
- عمل في العديد من الميادين أهمها الإصلاح الإسلامي والتدريس والصحافة والكفاح الوطني وقد أتيح له أن يقاوم حركة التغريب بدعوته إلى انشاء جمعية الشبان المسلمين، وكانت مجلته وقلمه من ألسنة الدفاع عن المغرب وقضاياه، معلما قويا يستصرخ المشارقة حين يكشف لهم عن مؤامرات الاستعمار ويدعوهم إلى مقاومة التجنيس والفرنسة.
- اشتهر بكثرة رحلاته بحيث زار مختلف أقطار دول المشرتق و المغرب العربيين وزار العديد من دول أوربا، ودرس حالة الشعوب هناك.
- واجهته صعوبات عديدة أثناء مسيرته النضالية أهمها:

متابعته من طرف الاستعمار الفرنسي والحكم عليه بالإعدام غيابيا، إضافة إلى تعرضه لمضايقات كما اعتقل من طرف حاكم الشام جمال باشا لاتهامه بنشر الفوضى والبلبلة في بلاد التونسية.

كان مجددا ومصالحها وثائر على المجتمع التونسي وعلى الحالة الفكرية والثقافية التي كان يعيشها المجتمع، ويتضح هذا جليا من خلال محاضرته التي ألقاها داخل

البلاد وخارجها أبرزها "الحرية في الإسلام" التي دعا من خلالها إلى تحرير العقول والنهوض عن الظلم والاضطهاد.

ألف الشيخ محمد الخضر حسين عددا من البحوث والرسائل في مواضيع مختلفة دينية ولغوية وأدبية، كما ألف كتابين يتصلان بالأدب والدين والسياسة، كان لهما الأثر الكبير في التعريف بقيمته العلمية والثقافية في مصر، وفي مختلف البلدان العربية والإسلامية.

كان أول من دعا الشباب المسلمين إلى النهوض بحاضر الأمة بحيث أنشأ جمعية الهداية الإسلامية ومجلة ناطقة بإسمها، إذ يعتبر أول شيخ من شيوخ الأزهر الذي يكتب استقالته بخط يده بعد فترة قليلة من اعتلاءه لمشيخة الأزهر.

توفي الشيخ محمد الخضر حسين عام 1958، وقد نهى العالم الإسلامي هذا العلامة الكبير، وحضر تشييع جثمانهّ إلى مقره الأخير كبار الدول العربية من علماء المشرق العربي البارزين، وبذلك انتهت حياة هذا الرجل العالم في سن تناهز السادسة والثمانين عاما قضاها صاحبها في طلب العلم والدعوة إلى تقوية الإسلام وإصلاح المجتمع الإسلامي في مختلف الميادين الدينية والثقافية والسياسية.

قائـــمة المـــــلاحق

الملحق رقم01: صورة الشيخ محمد الخضر حسين

المصدر: عبد المنعم الخفاجي الأزهر في ألف عام، ج 3 ، ط 3 ، المكتبة الأزهرية للتراث، 2012، ص 35.

الملحق رقم02 : مجلة السعادة العظمى

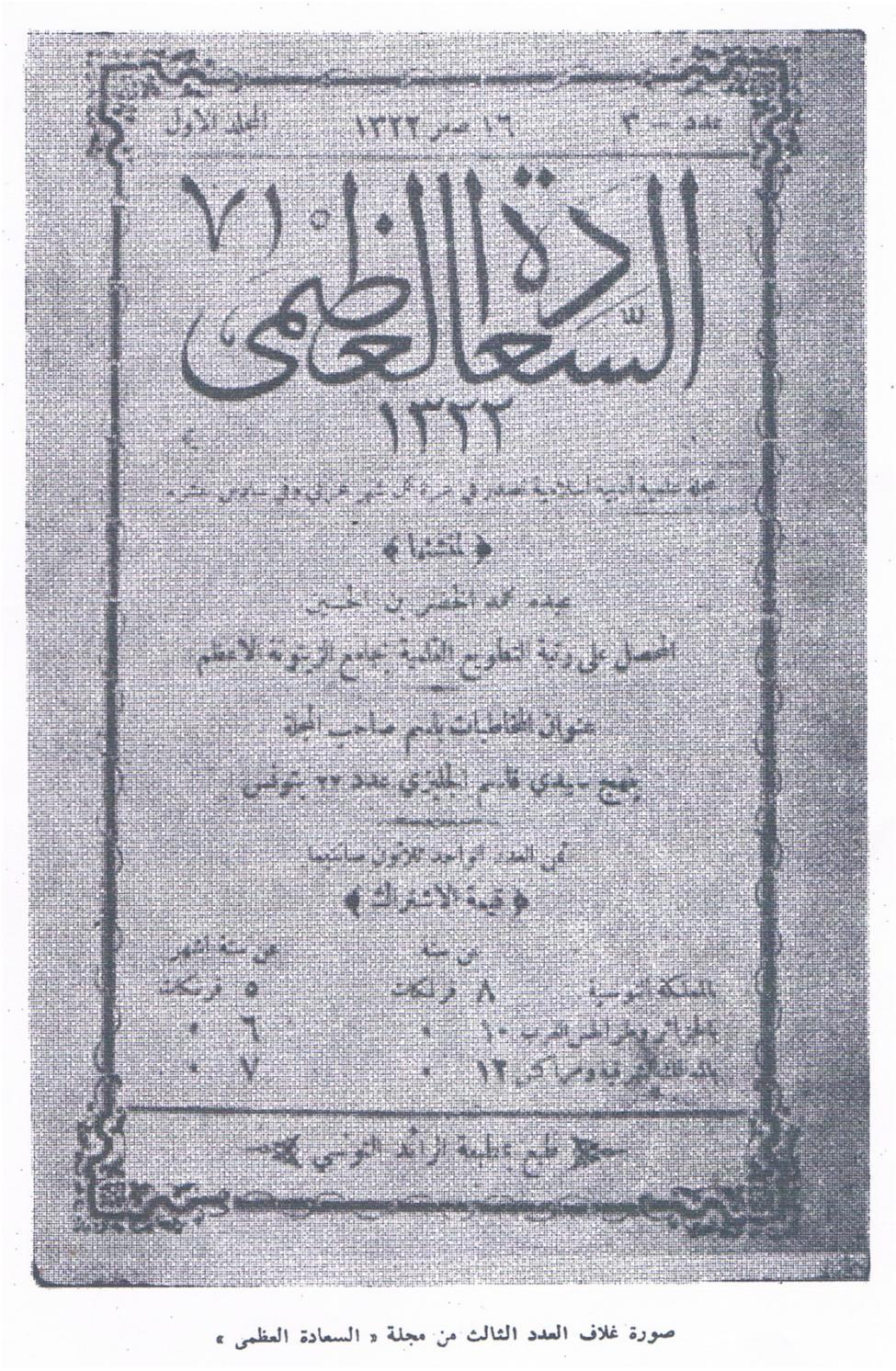
السعادة العظمى
١٣٢٢

صورة غلاف العدد الثالث من مجلة « السعادة العظمى »

المصدر: محمد مواعدة ، محمد الخضر حسين حياته وآثاره، دار التونسية للنشر، 1974، ص 135.

الملحق رقم 03: من خط الامام محمد خضر الحسين

7694

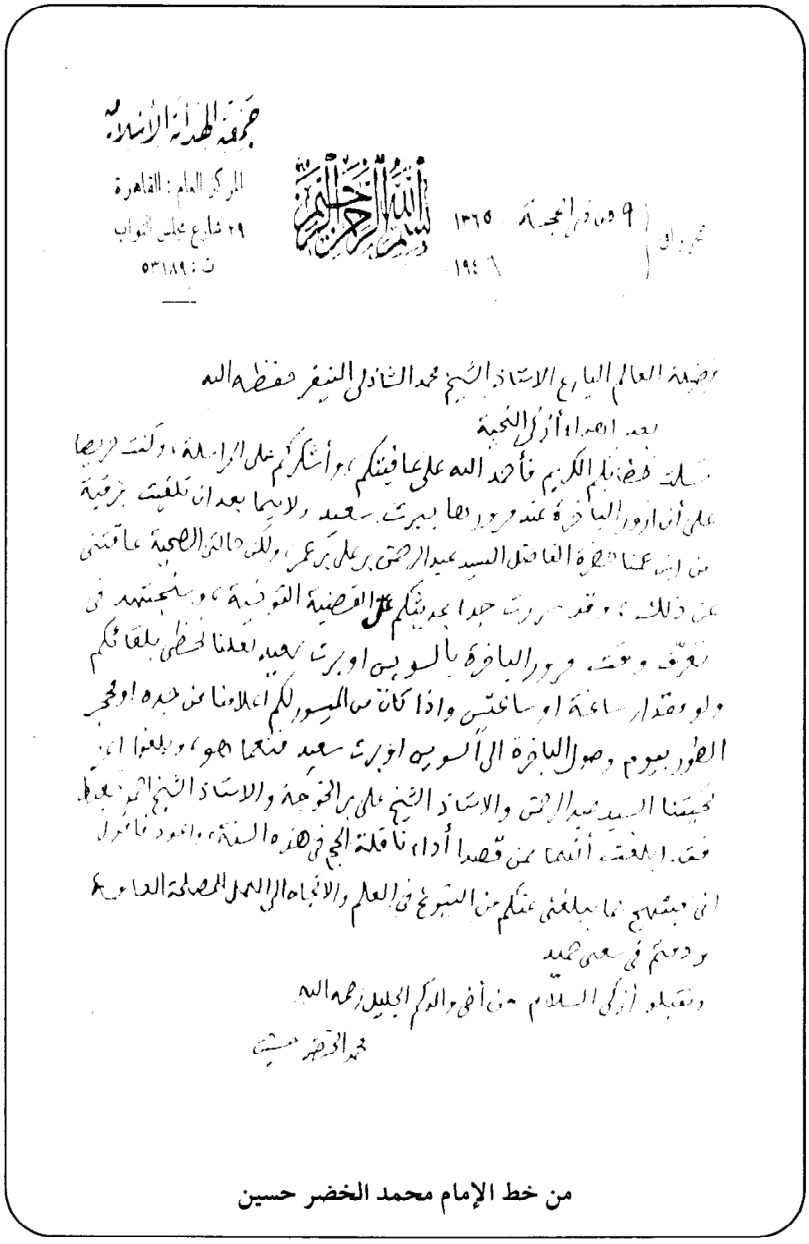

من خط الإمام محمد الخضر حسين

المصدر : محمد الخضر حسين ، رحلة الحياة ، ط 1 ، دار النوادر ، الكويت ، سورية ، لبنان، 2010، ص 69.

الملحق رقم 04: محمد الخضر حسين شيخ جامع الأزهر

7635

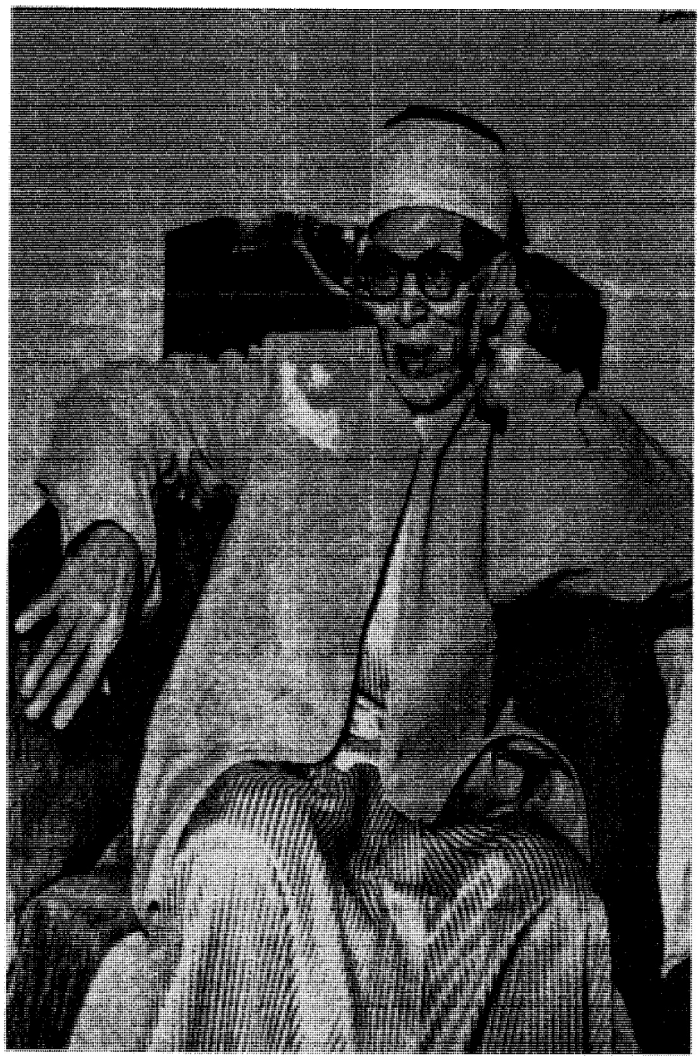

فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين . . . شيخ الجامع الأزهر

المصدر: محمد الخضر حسين ، المصدر نفسه ، ص 11.

الملحق رقم 05: الخضر مع علماء جمعية الهداية الاسلامية

7672

الإمام محمد الخضر حسين
مع نخبة من العلماء في جمعية الهداية الإسلامية في القاهرة

المصدر نفسه، ص 48.

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا:

قائمة المصادر:

1-الخضر، محمد حسين، اسرار التنزيل، ط1، دارالنوادر، دمشق ، 2010.

2-الخضر ، محمد حسين، الخيال في الشعر العربي، ط1، دار النوادر، دمشق ، 2010 .

3-الخضر ، محمد حسين ، الدعوة الى الاصلاح، ط1، دارالنوادر، ، دمشق2010.

4-الخضر، محمد حسين ، الهدايةالاسلامية، ط1، دار النوادر ، الكويت ، دمشق، 2010.

5-الخضر ، محمد حسين، الحرية في الاسلام، ط1، دار النوادر، ، دمشق، 2010.

6-الخضر ، محمد حسين، الرحلات، ط1، دار النوادر، دمشق ، 2010.

7-الخضر، محمد حسين، بلاغة القران الكريم ، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010 .

8-الخضر ، محمد حسين، تراجم الرجال، ط1، دار النوادر، ا، دمشق2010.

9-الخضر، محمد حسين، دراسات في اللغة، ط1، دار النوادر، ، دمشق.2010.

10-الخضر، محمد حسين، دراسات في العربية و تاريخها، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010 .

11-الخضر، محمد حسين، دراسات في الشريعة الاسلامية، ط1، دار النوادر، دمشق ، 2010.

12- الخضر، محمد حسين، ديوان خواطر الحياة، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010 .

13- الخضر، محمد حسين، رسائل الاصلاح، ط1، دار النوادر ، دمشق، 2010.

14- الخضر ، محمد حسين، محاضرات اسلامية، ط1، دار النوادر، دمشق ، 1020.

15-الخضر، محمد حسين، محمد رسول الله و خاتم النبيين، ط 1 ، دار النوادر، دمشق 2010.

16-الخضر، محمد حسين، نقض كتاب الاسلام و اصول الحكم، ط1، دار النوادر، دمشق، 2010.

17-الخضر، محمد حسين ، نقض كتاب في الشعر الجاهلي، ط 1 ، دار النوادر ، دمشق، 2010م.
18-الثعالبي ، عبد ، العزيز، تونس الشهيدة، تر و تق:سامي الجندين ط1، دار القدس، 1995.

19-الثعالبي، عبد العزيز، روح التحرر في القران الكريم، تح:الساحلي، دار القدس، بيروت، 1985.

20-الثعالبي، عبد العزيز، من اثاره في المشرق و المغرب، ط1، دار الغرب الاسلامي، الاسكندرية، 1995.

21-الخفاجي، عبد المنعم، الازهر في الف عام، ج2، ط3، المكتبة الازهرية للتراث، 2012.

22-العفاني، سيد، زهر البساتين من مواقف العلماء و الربانيين، ج2، دار العفاني، (د.ت).

قائمة المراجع:

1-الشيخ ، رأفت، تاريخ العرب المعاصر، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 1996.

2-المحجوبي ، علي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، تق :عمر بن ضر و حليمة قرقوري، دار سراس للنشر ، تونس، 1986.

3-الطاهر ، عبد الله، الحركة الوطنية التونسية ، رؤية شعبية قومية جديدة، ط1، دار المعارف للطباعة و النشر ، تونس.

4-الجمل ، شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر(ليبيا، تونس، الجزائر ، المغرب الأقصى)، ط2، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 2007م.

5-الهادي، محمد شريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع :محمد الشاوشي، محمد بن عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1980م.

6-التميمي، خلف عبد المالك، الاستيطان الأجنبي في الوطن في الوطن العربي(المغرب العربي ، فلسطين، الخليج العربي)، دراسة تاريخية مقارنة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1983م.

7-السر جاني، راغب ، قصة تونس من البداية إلى ثورة2011، ط1، دار أقلام للنشر والتوزيع و الترجمة، القاهرة، 2011م.

8-الجوادي، محمد، محمد الخضر حسين وفقه السياسة في الإسلام، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2014.

9-الحسيني ، علي رضا ، أحاديث في رحاب الأزهر، ط1، دار النوادر ، دمشق، 2010.

10-الحسيني ، علي رضا، محمد بن عزوز حياته وأثاره، الدار الحسينيةللكتاب، دمشق، 2010.

11-البيومي محمد رجب مهران ، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ط1، ج1، دار القلم ودار الشامية ، دمشق، بيروت، 1995.

12-الحسيني ، علي رضا، من أوراق ومذكرات الإمام محمد الخضر حسين ، دار النوادر ، سورية ، دمشق، 2010.

13–الطعمي، محي الدين ، النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992.

14–الحسيني، علي رضا، أعلام زاوية مصطفى بن عزوز ، دار النوادر ، ، دمشق ، 2010.

15–العقيل ، عبد الله ، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ج1، دار البشير ، 847هـ.

16–الحسيني، علي رضا ، الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي في تونس ، دار النوادر، ، دمشق، 2010م.

17–الحسيني ، علي رضا، تونس وجامع الزيتونة ، دار النوادر، دمشق ، 2010م.

18–الزمرلي، صادق ، أعلام تونسيون ، تح، حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1986.

19–الجابري، محمد صالح ، خمس رحلات إلى الجزائر (محمد الخضر حسين و آخرون)، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية، 2014م.

20–الحسيني، علي رضا، ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر، ط1، دار النوادر ، دمشق 2010م.

21–الحسيني ، علي رضا، كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ، ط1، دار النوادر، سورية ، دمشق، 2010م.

22–الحسيني، علي رضا ، مذكرات وأوراق محمد الخضر حسين ، ط1، دار النوادر، سورية ، دمشق، 2010.

23–الزركلي ، خير الدين، الأعلام ، ج8، ط5، دار العلم للملايين ، 1980.

24–الحسيني، علي رضا، جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، ط1، دار النوادر، سورية ، دمشق، 2010.

25–البوطي ، محمد سعيد رمضان، من الفكر والقلب، دار الفقيه للنشر والتوزيع، 1997.

26–الحسيني ، علي رضا، محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر، ط1، دار النوادر ، سورية ، دمشق، 2010.

27–البحتري، أحمد، الجديد في أدب الجريد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1973.

28–البستاني ، فؤاد أفرام، مؤتمر المستشرقين الدولي الحادي و العشرون في المشرق، ج1، دار ألأفراني للنشر، 1942م.

29–الفواز ، سعود كليب ، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين و العثمانيين(1908–1918)، مكتبة الإسكندرية، 1992م.

30–أبو حمدان، سمير، موسوعة خير الدين التونسي ، دار الكتاب العلمي ، 1993.

31–الصلابي محمد، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني ، والغزو الصليبي ، ط1، دار المعرفة، لبنان، 2006.

32–البسيوني ، البدائل الإسلامية لمجالات الترويح المعاصرة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، (د، ت).

33–الزوزني، أبي عبد الله حسين بن أحمد، المعلقات السبع، ط1، مؤسسة الرسالة ، 2004.

34–أحمد، السيد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، مكتبة الإيمان بالمنصورة، 1999.

35–بن زيدان ، عبد الرحمان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية ، المغرب ، 1937م.

36–بن بلغيث ، الشيباني، الجيش التونسي في عهد الصادق باي 1818–1854 تح:عبد الجليل التميمي ، منشورات التميمي للبحث العلمي ، جامعة سفاقس، 1995.

37–بن عاشور، الفاضل، الحركة الأدبية و الفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

38–بن إبراهيم ، محمد الحمد، محمد الخضر حسين ، سيرته ومؤلفاته، ط1، دار خزيمة ، الرياض، 2014م.

39–خليل ، أحمد إبراهيم، المستشرقون و المبشرون في العالم العربي والإسلامي ، مكتبة الوعي العربي ، مسقط، 1964.

35–قصاب ، احمد ، تاريخ تونس المعاصر ، تح: حمادي الساحلي ، ط1، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس.

36–شاطر، خليفة و آخرون، تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية و دولة الاستقلال، ج3، مركز الدراسات للبحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس ، 2005.

37–شاكر، محمود، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، قارة إفريقيا ، ج2، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1993.

38–سعد، الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

39-ياغي، احمد إسماعيل ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، قارة إفريقيا، ج2، دار المريخ للنشر ، المملكة العربية السعودية، 1993م.

40-ياغي ، أحمد إسماعيل ، العالم العربي العصر الحديث، ط1، مكتبة العبيكان ، 1997.

41-مواعدة ، محمد، محمد الخضر حسين حياته وأثاره، الدار التونسية للنشر، 1974.

42-تيمور، أحمد باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، ط1، دار الآفاق العربية ، 2010م.

43-محفوظ ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين ، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 1982م.

44-نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر)، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة ، بيروت، لبنان، 1980.

45-عزقول ، كريم ، الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار، 1798م، 1939م.

46-شهبي ، عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة و الاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د، ت).

47-مراد، سعيد، التصوف الإسلامي ، رياضة روحية ، دار الدراسات للنشر ، الجزائر، 2007.

48-هلال ، عمار، الطرق الصوفية ، ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر، 1988.

49-ثروت ، محمد، الأوراق السرية لمحمد نجيب ، دار الحياة ، 2013.

50-عرتلوا بك ، يوسف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ط1، مكتبة مديولي ، القاهرة، 1995.

51-مصطفى ، احمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، بيروت ، 1986.

52-مونتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية ، تر، بشير السباعي، دار الفكر للدراسات ، القاهرة، 1993.

53-غوار، بشار معروف، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط1، مج، 04، دار الغرب الإسلامي ، 2003.

المقالات والدراسات:

1-فوزي ، المصمودي ، مقال عن محمد الخضر حسين الجزائري ونضاله التحرري من خلال جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، الجزائر ، 2015.

2-الخضر ، محمد حسين ، "أثر الرحلة "، عن مجلة الهداية الإسلامية ، مج 11، ج1، 1929.

3-كرو ، محمد ابو القاسم، " الشيخ محمد الخضر حسين ..شيخ الأزهر السابق"، عن جريدة العمل ، الملحق الثقافي ، بيروت، 21 فيفري 1969.

4-النجار، علي ، "كلمة في تأبين الشيخ محمد الخضر حسين في المجمع اللغوي ، عن مجلة لواء الإسلام ، مج1، ج1، القاهرة ، 1958.

5-الخضر، محمد حسين، "مقدمة السعادة العظمى "، عن مجلة السعادة العظمى ، العدد 1، و 2، تونس، 1904.

الرسائل والأطروحات :

1-بن ديمة ، الجيلالي ، تفسير محمد الخضر حسين لأي القرآن ولامح الإصلاح فيه، ماجستير في التاريخ ، تخصص التفسير بين القديم والحديث، جامعة تلمسان 2014، 2013.

2-بوبكر ، فاطمة الزهراء، و بوجمعة ، رزيقة ، عبد العزيز الثعالبي ودوره السياسي والثقافي 1944، 1874، ماستير تخصص ظاهرة استعمارية ، جامعة خميس مليانة ، 2013، 2014

3-ذياب ، هشام، محمد المكي بن عزوز، حياته ومواقفه ، واثآره ، ماجستير تخصص التاريخ ألمغاربي الحديث والمعاصر ، جامعة المسيلة ، 2014.

الموسوعات:

1-خليل ، أحمد خليل ، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ، ط1، المؤسسة العربية ، 2001.

الفهـــــرس